المشرق

القس بولس بليط

[illegible]

من كاهن جليل تجردت له الدنيا عن مشاجبها ومراميبها فأعرض عن اباطيلها وبهارجها عكوفاً على التعبد والتقوى وانقطاعاً الى خدمة الخالق والخلائق — والحميرة دعوات في سبيل الله تعالى — فكانت حيوته الطويلة سلسلة حسنات وكل خطوة واعماله من محاسن الصفات وكلاهما ما يبقي له طيب الذكر وحسن الاحدوثة بين رجال حلب الافاضل

ما تزل حفرتهُ وامسى في ضمير التراب سرًّا حتى طُري ذكره وأهمل شأنهُ فسألني صاحب المشرق الفاضل ان أحيي ذكرهُ من ارماسه فارتحتُ الى اجابة سؤاله في عصر !.. أعظموا فيه مثل فرّد وسواهُ من اهل التعطيل والفوضوية !.. عسى ان يؤثر التقى والفضيلة كلُّ راغب فيهما عن هذا الكاهن الفاضل فيجري فيهما على منهاجه السويّ ميلًا عن العاجلة الفانية الى الآجلة الباقية

وقد ذكرت من آثاره واعماله ما رأيتهُ وعرفتهُ بنفسي تنزيهاً لهُ عن مهرّة الشبه والظنون في هذه الآونة التي بات اهلها يكابرون في المحسوس الذي يكاد يُلمس بالايدي... وقليلٌ ما ارسلتهُ على علّاته لتعذُّر الوقوف فيه على الاسناد والادلة التي يُركن اليها ويُعتمد عليها في مثل هذه المباحث الغامضة . وقد جعلت الترجمة مبوبةً يسهل معها استيعابها على القرّاء الكرام

*

تتسلسل اسرة « بليط » من جدّها الاعلى المسمّى « بارون » وقد غادر فيما يقال

وطنه فرنسا في اواخر القرن الخامس عشر ونزل هو واولادهُ على قرية « زيتون » التابعة لواء مرعش وهي القرية التي اشتهرت بثباتها وحصانتها في كوائن الارمن المشؤومة في خلال سنة ١٨٩٦ . فالتجأ هارون فيها الى النحلة الارمنيَّة وتولَّى هو واولاده زعامتها ردحاً من الزمن الى ان زايلها احد احفاده وتوطَّن حلب الشهباء في آخر القرن السادس عشر فكانت وطن الاسرة الى اليوم . هذه خلاصة ما يجري على الالسن ويتناقلهُ بعض الابناء عن الجدود من التواتر العائلي مستندين فيه الى بعض الاوراق والصكوك الخطوطة وهو لا يخلو من نقد واعتراض فيما يظهر . ولقب الاسرة « بليط » عربي لا شبهة فيه كما لا يخفى

جدها هارون ولد دانيال ودانيال ولد سركيس وسركيس ولد عطاء الله وجرجي فعطاء الله ولد يواكيم وشكري وجرجي . ويواكيم صار باسمه كاهناً وشكري وجرجي لا يُعرف من امرهما شيء . وجرجي ولد : ١ جبرائيل ٢ وانطون ٣ وميخائيل ٤ وشكرالله وهم جدود الاسرة المعروفون

ولكل هؤلاء الاربعة اولاد واولاد اولاد يطول بنا ذكرهم (١ وأترك التحقيق في اخبارهم لمن اسعدهُ الحظّ ان يقف على اوراق قديمة تبحث في اصل تلك الاسرة الكريمة وبهذا القدر غنى وكفاية . وانما خرج منهم رجال افاضل شرَّفوا الوطن والدين بخدمهم الجليلة لاسيما في القرن المنصرم نخصّ منهم بالذكر السيد الفضال المثلث الرحمات غريغوريوس بليط الذي مرَّ ذكرهُ في المشرق سنة ١٩٠٦ (٩ : ٤٦٢) في سلسلة اساقفة الشهباء الارمن والسيد يوسف بن شكرالله بن جرجي بليط الذي صار كاهناً في حلب ثم جلس على كرسيّ طائفته في ماردين (المشرق ٩ : ٣٦٥)

اما المترجم فهو فتح الله بن نيقولاوس بن جبرائيل بن جرجي بن سركيس (٢ ابن دانيال بن يارون الجدّ الاعلى

وقد ابصر النور بحلب في ٢ شباط من سنة ١٨٢٧ فدُعي يوم تنصيره باسم فتح الله . وكان ابوهُ نيقولاوس وامهُ كاترينا كاترون المارونيَّة متكافئين متشابهين

---

١) انَّ حضرة مكاتبنا الاديب سرد هنا سلسلة العائلة بحلقاتها الى عهدنا الحاضر فرأينا في اثباتها طولاً وخفنا ملالاً للقرَّاء فاكتفينا بالتلميح (المشرق)

٢) وقيل جبرائيل بن جرجي بن جبرائيل بن جرجي بن سركيس

٣ مثال من اقدم المخطوطات الارمنيّة المعروفة في عهدنا

٤ مثال من اقدم المطبوعات الارمنية (رتبة الآلام)

حسباً ومحامد واخلاقاً فترعرع فتح الله في حجرها الوالدي ملحوظاً بجمال الفضيلة محروساً بنقاوة الطبيعة وتدرّج في مطلع سني حياته في مدارج الورع والصلاح

وكانا يصحبانه منذ حداثة سنه الى الكنيسة حتى يتمرّس على شهود الحفلات الدينية وقضاء واجب العبادة لله والصلاة لوجهه تعالى شان سائر رجال حلب في ذلك العهد الميمون فنشأ الفتى فتح الله متشبّعاً من لبان التديُّن مرتوياً من منهل التقى الصافي تمّا حمله على انفته من الملاهي وزهده بالدنيويات وارتفاع افكاره الى عالم الروحيات

فراق المثلث الرحمة باسيليوس جورج مطران حلب على الارمن الكاثوليك ما كان عليه المترجم من النهج الحميد فدعاه الى الانضمام في العالم الاكليريكي فاجاب الى الدعوة طائعاً منقاداً فجعله اذ ذاك شماساً انجيليّاً فانقطع الشماس فتح الله الى خدمة الكنيسة واقامة الشعائر الدينيّة وشرع منذ حينئذٍ يوهب نفسهُ الكريمة لكي يكون في مقدمة الكهنة الصلحاء الذين يتهالكون في الدفاع عن حوزة الدين القويم

وفي ١١ شباط سنة ١٨٥١ سامهُ هذا الاسقف الجليل كاهناً وسماهُ بولس تيمّناً باسم رسول الامم العظيم . فانفق القس بولس في سبيل الدين والوطن حقبةً طويلة من حياته كان فيها اباً كريماً وعضداً معواناً ملءُ غلائله نشاطٌ وغيرة في خدمة الانفس على ما توجبهُ عليهِ خطّتهُ الكهنوتيّة السامية فاجمعت الكلمة على اطرائهِ واتحدت القلوب على ولائهِ واجلال مقامهِ والاعجاب بمساعيهِ واعمالهِ الحسان

ومن غرر مآثرهِ انشاؤهُ مدرسةً لطائفته الارمنيّة كانت على حداثتها وسذاجة دروسها اوّل مدرسة قامت لهذه الطائفة الكريمة اسوةً بسائر الطوائف المسيحيّة بحلب وعلى اساسها انشأ بعدئذٍ المثلث الرحمة المطران غريغوريوس بليط مدرسة اخرى اصابت بعض الرقي والنجاح وخدمت رعيتهُ خير خدمة فكان لصاحب الترجمة فضل مذكور على ناشئة طائفتهِ وسواها لا يجحدهُ الّا الكنود ولا ينكرهُ الّا الارمد

فلمّا فُجعت هذه الطائفة براعيها باسيليوس عيواظ السابق الذكر في ٢٨ كانون ٢ من سنة ١٨٦٠ اتجهت الابصار الى القس بولس وحامت عليهِ الخواطر فابى قبول الكرامة الاسقفيّة مكرّاً على مريديهِ ومحازبيهِ من الكهنة والاعيان ترشيحهُ لهذه الخطّة السامية مدّعياً عجزهُ عن النهوض باعبائها الشاقة وشؤونها الكثيرة المتاعب

وبالتالي اقنعهم بأنهُ يتعذَّر عليهِ ان يمثل الطائفة بلياقة لدى ولاة الامور والحكَّام الدنيويين

*

وبعد المداولة اصاب القس ميخائيل بليط اكثريَّة الاصوات فسار بابن عمهِ القس بولس الى دير بزمار بلبنان حيث رقَّاهُ البطريرك غريغوريوس الثامن الى درجة الاسقفيَّة مسمًّى بغريغوريوس في ٢ شباط سنة ١٨٦١ ورقِّي بعدهُ القس بولس الى رتبة ورتبيت (من درجة زَيركوين) وسمح لهُ ان يتقلَّد الصليب والخاتم والتاج ولكنهُ ابى ان يستعمل شيئاً من شاراتها وحقوقها اتضاعاً موثرًا عليها رتبة الساذج

ولما دعي المطران غريغوريوس الى رومية العظمى لحضور حفلات تثبيت شهداء اليابان وبيوبيل زعيمي الرسل المئوي في سنة ١٨٦٧ رحل اليها بصحبة الورتبيت حيث تشرَّف معهُ بمقابلة قداسة البابا بيوس التاسع اكثر من مرَّة لقي فيها كل انعطاف ابوي واستمال اليهِ التفات الطبِّي الذكر البطريرك بولس مسعد والبطريرك انطون حـ ـويان (الذي تقلد الشارة الكردينالية) والسيد اسطفان عازريان (الذي تولى بعد ذلك منصَّة البطريركيَّة الارمنيَّة) الى غير هؤلاء من رجال الدين المشاهير

وقد تعطَّف عليهِ اذ ذاك قداسة البابا بيوس بمقابلة خاصة فوَّض اليهِ فيها منح الغفران الكامل والبركة البابويَّة كل مرة يباشر فيهـا رياضة روحيَّة فصادف هذا الالتفات والانعام ارتياح الجميع

وفي سنة ١٨٦٩ سار الورتبيت بعية المطران غريغوريوس كاستاذ في اللاهوت والطقوس الى الاستانة العلية للاشتراك في المجمع الطائفي الذي كان البطريرك المغبوط انطون حـويان المار ذكرهُ ينوي عقدهُ للنظر في حالة طائفته الارمنيَّة وطقوسها وقوانينها وما يتصل بها من شؤونها وبعد انعقاد ثمانين جلسةً منهُ حيث قرَّر آباؤهُ فيهـا صورة الايمان وتوزيع الاسرار ونظام الكراسي التريبوليتيَّة والاسقفيَّة وفدَ على البطريرك مرسوم من الكرسي الرسولي يحضُّهُ فيهِ على انجاز اعمال هـذا المجمع الطائفي . فرأى البطريرك والآباء التوقف عن متابعة جلساتهِ الى أجل آخر رغبةً في شهود المجمع الواتيكاني العامّ

ومن هنـاك استأنف المطران ونسيبهُ الورتبيت الرحلة في حاشية البطريرك

حسونيان السابق الذكر الى رومية العظمى حيث انضموا جميعاً الى آباء المجمع الواتيكاني. وروى عن الورتبيت ابنُ اخيه انهُ عُيّن عندئذٍ في سلك علماء اللجنة اللاهوتية . وقد تقصّيت هذه الرواية فلم أرَ ما يسندها في اعمال المجمع حتى عثرتُ في كتاب رحلة الورتبيت الى الاستانة وروميه على انهُ قُبل فيه بصفة لاهوتيّ سيادة نسيبه وكان يشهد الجلسات العلنيّة في المقام الخاصّ باللاهوتيين. وما لا ريب فيه انهُ بعد عودهِ الى وطنهِ حلب كان اول من نادى فيها بقضية العصمة البابويّة التي كانت تقررت في ذاك المجمع المسكوني العظيم

ومن هذا كلهِ يستفاد ان المطران غريغوريوس كان اتخذ ابن عمهِ الورتبيت مستشاراً لهُ ومستودعاً لاسراره يصدر عن رأيهِ ويعوّل عليهِ في كثير من المشاكل والملمّات وقد اخلص لهُ الخدمة في كل مدة اسقفيتهِ الطويلة كما اخلص خلفهِ المطران اواديس تركيان وقد نال الورتبيت من رؤسائهِ وكبار رجال طائفته من الثقة والاعتبار ما هو خليق بمقامهِ جدير بخدمهِ في جنب الدين والطائفة والانسانيّة

*

ومنذ صغر الورتبيت أوقف جهدهُ على الدرس والاستفادة فدرس اللغة الارمنيّة وتلقّى الايطاليّة واللاتينيّة عن الاب فرنسيس امايا الكبوشي ودرس اللغة العربية على نفسهِ فيما شافهني بهِ في بعض محادثاتهِ او على العلامة البطريرك مكسيموس مظلوم فيما رواهُ ابن اخيهِ في ترجمتهِ فأخذ منها كفايتهُ . واما الفلسفة واللاهوت بقسميهِ الادبي والعقائدي فاخذهما عن الخوري يوسف عبديني المشهور واشتهر بمعارفهِ الطقسيّة والفلسفيّة والقانونيّة واللاهوتيّة اكثر من سواها

ودرّس في مدرسة الآباء الكبوشيين اثناء درسهِ فيها ودرّس ايضاً مدّةً في المدرسة الطائفيّة التي كان انشأها على ما سبق بيانهُ وخلف استاذهُ العبديني في القاء دروس اللاهوت على طلّابها من رجال الكهنوت. ومن تلامذتهِ فيها المطران اوغسطين صائغ والمطران ميخائيل الخوس والخوري قسطنطين خضري وكان الورتبيت في تعليمهِ متين التحقيق متأنياً في التقرير جامعاً الى صحة النقل وكثرة التمثيل سهولة التعبير وحسن الاسلوب. وفيما خلا ذلك كان يقصدهُ الناس لاستفتائهِ في بعض المشاكل الكتابيّة او اللاهوتيّة او القانونيّة ولهُ فيها القول الفصل الصحيح

وكان ينفق اوقات فراغهِ من مهامهِ الكهنوتيَّة على معاناة المطالعة والتأليف والافادة. واما تآليفهُ ومعرَّباتهُ المطبوعة فهي: ١ً رياضة شهر تشرين الثاني لاسعاف الانفس المطهريَّة عربيًا عن الايطاليَّة وطبعها بمطبعة حلب الارمنيَّة سنة ١٨٥٩. ٢ً مسبحة سبعة افراح مريم العذراء استخرجها عن الايطاليَّة ايضاً وطبعها بمطبعة الآباء الفرنسيسيين في اورشليم سنة ١٨٥١. ٣ً كتاب الدعامة وهو خمس محاورات دينيَّة في وجود الله وخلود النفس الَّفها وطبعها ببيروت في سنة ١٨٩٥. ٤ً كتاب النبراس الجزء الاوَّل منهُ وهو خمس محاورات دينية في الكنيسة والمطهر والانبثاق وسعادة القدِّيسين الَّفهُ وطبعهُ بالمطبعة العلميَّة في بيروت سنة ١٩٠٧. ٥ً نبذة تاريخيَّة في ابرشيَّة حلب الارمنيَّة نشرتها مجلَّة المشرق ببعض تصرُّف في سنتها التاسعة وهي سنة ١٩٠٦

واما مؤلفاتهُ ومعرَّباتهُ المخطوطة فهي: ١ً الجزء الثاني من كتاب النبراس وهو خمس محاورات. ٢ً الجزء الثالث منهُ وهو غير تام التأليف. ٣ً بعض ملاحظات تخصّ الارمن (اي مميزات الارمن) كتبهُ في سنة ١٩٠٨. ٤ً اسئلة واجوبة في مشاكل كتابية ولاهوتيَّة وسواها كتبها في سنة ١٨٦٣. ٥ً مجموعة في اسرار اللاسونية عربها عن تأليف احد المرتدّين عن الشيعة. ٦ً كتاب اليوميَّة الروحية عرَّبهُ عن الايطاليَّة قبل كهنوته. ٧ً عظات في شرح الوصايا والصلاة الربية. ٨ً مواعظ على مدار الشهر المريمي. ٩ً ولهُ فيما عدا ذلك مواعظ عديدة متفرقة. ١٠ً مجموعة في اسرار الكنيسة السبعة. ١١ مياومة تاريخيَّة كان يدوّن فيها اخبارهُ واخبار وطنهِ حلب. ١٢ً كتاب رحلتهِ الى الاستانة العليَّة ورومية العظمى لحضور المجمع الطائفي والمجمع الواتيكاني وهو لا يخلو من فوائد اخرى

*

وقد مال الى فنّ الوعظ والخطابة وتمرَّن عليهِ في ابَّان فتوتهِ فرُزق فيهِ حظًّا وافرًا وزادهُ اقترانهُ عليهِ خبرةً بفنونهِ وضلاعة من اساليبهِ الكثيرة الشعاب فعاناهُ من اول ترشيحهِ لدرجة الكهنوت وظلَّ بعدهُ نحو نصف قرنٍ متفردًا فيهِ عن الاشباه بين قومهِ الارمن لا يباريهِ مبارٍ فيما كان يلقيهِ من المواعظ والمرشد في كل الاغراض الدينية والادبية والاجتماعية

واخذ على نفسهِ ايضاح التعليم المسيحي وكنتُ في جملة طلبتهِ الذين اخذوهُ عنهُ في سنة ١٨٨٤ فرأيتهُ فيهِ شارحاً ضليعاً ما أُلقي اليهِ شرح قضيَّة من تعاليم السيد المسيح الخلاصيَّة الَّا عرَّفها واحاط باطرافها وجلا غوامضها عنها حتى يتركها على طرف الثُّمام وحبل الذراع فتتشرَّبها الافهام باسهل اسلوب بلا ابهام ولا ايهام

وكان يعدُّ ناشئة قومهِ الى مناولة القربانة الاولى فكنتُ في عدادها في تضاعيف سنة ١٨٨٥ فوجدتهُ اثابهُ الله يسهب في الموعظة والارشـاد ويكثر من الترغيب والترهيب حتى ينكِّب الفتيـة عن مواطن الرذيلة ويقبلوا على موارد الفضيلة اقبال الظماء « اذ لا يتـأتَّى بدونها للرجل ان يكون مسيحيًّا كاثوليكيًّا كاملًا » وهو ما لا ازال اذكرهُ من لفظهِ حتى اليوم ونعم القول ورحم الله قائلهُ الكريم

ومن اوَّل امرهِ عُهد اليهِ بادارة اخوية الاحداث واخوية الشبان واخوية المتزوجين واخوية ارتداد الخطأة فكان يتعهَّدها باهتمامهِ ويتوفَّر على نموِّها ونجاحهـا جهدهُ لافظاً في كل منها من المراشد والمواعظ ما يناسب المقام فضلًا عن المواعظ العموميَّة التي كان يلقيها كل احدٍ وعيدٍ في الكنيسة الارمنيَّة الكاتدرائيَّة فتكتظُّ بالناس على اختلاف الطبقات والطوائف والمشارب

وفي كل سنة من سني كهنوتهِ كان يروِّض الرجال اسبوعاً والنساء آخر فيتسابق الناس الى استماع خطبهِ وحفلاتهِ تسابُق الجياع الى القصاع فيجول فيهـا جولات معهودة في العقائد الدينية والحقائق الازلية ويحمل حملات عنيفة على مضارّ المدنية الحديثة ومفاسد الاخلاق والعادات الجارية رغبةً في ان يحيد الناس عنها متوردين الى طريق الخلاص القويم

وقد شهدتهُ مرَّات يُلقي فيها الوعظ فوجدتهُ منخفض الصوت قليل الحركة رابط الجأش وعليهِ مسحةُ التقى والهيبة والوقار يجيل بصرهُ في سامعيهِ فتخترق لحظـاتهُ شغاف القلوب ويتدفَّق بعباراتهِ كالسيل المنهمر فلا يعتور لسانهُ لُكنة او حُبسة فتفعل كلمتهُ في النفوس ما لا تفعلهُ الصهباء في الرؤوس. وغاية ما يقال في وعظهِ انهُ كان يؤثر طريقة الصلاة العقلية على سواها فيكثر فيها من الفلسفة الطبيعية والتشابيه والمثلات والاخبار والشواهد وغالب تنظيرهِ فيهـا يقتبسهُ عن القديسين كارلس

ترجمة حياته

ترجمة ديبوس نيري د انونس ليغوري مما يدل على تشبعه من مبادئ وآراء هؤلاء القديسين العظام ونعم القدوة والمرجع

وهو قصير القامة اسيل اللحية وارد الاوفية اشهل العينين عريض الجبهة ابيض اللون اسود الشعر بيضته الايام . دمث الاخلاق وقور المنظر طويل الاناة منخفض الصوت قوي البادرة حسن الفكرة مصيب الرأي رقيق القلب . وكان فقي الطيب فقي نفس كثير الصلاة كثير التأمل غيوراً على الايمان الكاثوليكي وقد اعاد الى كثيرين من الارمن وكان قشناً يكتفي بالقليل من الطعام ويجتزئ باللازم من الملابس متواضعاً يألف الزهر والبخاخة ويعاف ملاذ الدنيا متنزياً في حديثه وحركاته عفة في الامور الناعمة يؤثر العزلة على المعاشرة ويصرف في مكتبه ما فضل من اوقاته عن واجباته الكهنوتية في الدرس والمطالعة والتأليف . واسع الحفوظ كثير النوادر يروي القصة بتواريخها واسماء اصحابها لطيف المحاضرة لا يحدث جليسه الا بحديث التقى والفضيلة وما اشبه هذه الامور الروحية والادبية المعتبرة . وعلى الجملة فقد كان اباً صالحاً ومرشداً ناصحاً وكاهناً جليلاً فاضلاً مشغوفاً بمحبة الله متفانياً في خلاص النفوس واغاثة الفقراء وارشاد الضعفاء صبوراً على عبر الدهر ونوائب الحياة وبوارح الآلام وقد سعى به بعض اعدائه وحسّاده في آخر ايامه فما نالوا منه مأرباً بل عاد اليهم بخائبة متجاوزاً عن سعايتهم واساءتهم

واصيب في نهاية حياته بوقْر في اذنيه وضعف في عزيمته . ولكنه فيما عدا ذلك كان وافر اللب صافي الذهن ما فُلّت شباة عقله ولا أُفِن رأيه في شيء بل ظل يواصل اعماله وفروضه الكهنوتية حتى ايامه الاخيرة . ولما حضر لديه احد الآباء اليسوعيين يعوده في مرضه الاخير اثنى على الرهبانية ثناء طيباً وشكر لها مساعيها في سبيل الكثلكة عموماً وسوريا خصوصاً وشجعها على احتمال المصائب في وجه الله وكنيسته المقدسة (١) . ووهب مكتبته للطائفة الارمنية وهي غنية بالتآليف والتصانيف الدينية

(١) وقد اختبرنا محبته رحمه الله لرهبانيتنا مرارًا فانه كان يدافع عنها ويثني على اصحابها وكان قد اتخذ له مرشدًا لضميره احد رهبانها . ولما سرنا الى حلب سنة ١٩٠٨ اهدانا بعض مخطوطات مكتبته التي ما كان أوقفها على طائفته الجليلة . وقد سمعنا مرارًا كل من عرفه يثني على

والعلمية والادبية واوصى ان لا يُدفن دفناً حافلاً وان تُطبع كتبهُ الروحيَّة على نفقته الخاصة. وقد اتمَّ واجباتهِ الدينية بخشوع وإخبات غير هيَّابٍ ولا وجلٍ من ملاقاة المنيَّة التي كان ينتظرها بثغر باسم وجبين وضاح . وبقي في ساعاته الاخيرة يرشد القانعين حواليهِ الى العياذ بقوة الله والتمسُّك بحبل الدين والتقوى ويكرر بصوت عالٍ بعض الصلوات والابتهالات الى ان فاضت نفسهُ الكريمة الى خالقها تعالى في ١٢ تشرين الاول من سنة ١٩١٠. وما طار منعاه في الشهباء حتى توافد كثيرون من ذويه وعارفيهِ يستلمون يديهِ آسفين عليهِ مستعظمين الخطب فيهِ. وفي اليوم التالي تواردت الى مأتمهِ الجماهير الغفيرة من كل صوب ومن كل ملَّة وبعد قضاء سنَّة وداعهِ وتعزية آلهِ ساروا بالجثَّة على الاكفّ الى الكنيسة الارمنية الكاتدرائيَّة حيث صلَّى عليهِ الاكليروس الارمني وعددٌ من اكليروس سائر الطوائف الكاثوليكية. وعند نهاية الصلاة أبَّنهُ سيادة الحبر الجليل المطران اوغسطين صانع تأبيناً بليغاً صادراً عن قلب كليم. ثم وارووهُ الثرى بين سيول الترحيم واسباب التعظيم تغمَّدهُ الله بالرحمة والرضوان واسكنهُ فسيح الجنان انهُ سبحانهُ الكريم الرحيم

مكتبة طائفتنا المارونيَّة

في مدينة حلب المحميَّة

لحضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

نمرة ١٢ الانجيل المقدس بالسريانيَّة والعربية (بحرف سرياني) وهو اقدم الكتب عهداً في هذه المكتبة كبير الحجم مجلد بخشب . وهو مقسَّم على الكلندار او التذكارات . وعلى الصفحة الاخيرة من انجيل يوحنا علَّق الناسخ كتابة سريانيَّة مسهبة مؤدَّاها انهُ « انتهى من كتابة الكتاب سنة ١٥٤٧ للمسيح الموافقة لسنة

تواضعهِ وزهدهِ وحبِّهِ للفقراء وغيرتهِ الرسولية . وقد عُرف ايضاً بتقشُّفهِ وممارستهِ لأعمال الامانة فكان يلبس المسح ويتمنطق بزنَّار من حديد وغير ذلك مما وقف عليهِ اهلهُ دون علمهِ وبالاجمال كان مثال الكمال وقدوة الكهنوت ل. ش

والعلمية والادبية واوصى ان لا يُدفن دفناً حافلاً وان تُطبع كتبهُ الروحيَّة على نفقته الخاصة. وقد اتمَّ واجباتهِ الدينية بخشوع وإخبات غير هيَّابٍ ولا وجلٍ من ملاقاة المنيَّة التي كان ينتظرها بثغر باسم وجبين وضاح . وبقي في ساعاته الاخيرة يرشد القانعين حواليهِ الى العياذ بقوة الله والتمسُّك بحبل الدين والتقوى ويكرر بصوت عالٍ بعض الصلوات والابتهالات الى ان فاضت نفسهُ الكريمة الى خالقها تعالى في ١٢ تشرين الاول من سنة ١٩١٠. وما طار منعاه في الشهباء حتى توافد كثيرون من ذويه وعارفيهِ يستلمون يديهِ آسفين عليهِ مستعظمين الخطب فيهِ. وفي اليوم التالي تواردت الى مأتمهِ الجماهير الغفيرة من كل صوب ومن كل ملَّة وبعد قضاء سنَّة وداعهِ وتعزية آلهِ ساروا بالجثَّة على الاكفّ الى الكنيسة الارمنية الكاتدرائيَّة حيث صلَّى عليهِ الاكليروس الارمني وعددٌ من اكليروس سائر الطوائف الكاثوليكية. وعند نهاية الصلاة أبَّنهُ سيادة الحبر الجليل المطران اوغسطين صانع تأبيناً بليغاً صادراً عن قلب كليم. ثم وارووهُ الثرى بين سيول الترحيم واسباب التعظيم تغمَّدهُ الله بالرحمة والرضوان واسكنهُ فسيح الجنان انهُ سبحانهُ الكريم الرحيم

مكتبة طائفتنا المارونيَّة

في مدينة حلب المحميَّة

لحضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

نمرة ١٢ الانجيل المقدس بالسريانيَّة والعربية (بحرف سرياني) وهو اقدم الكتب عهداً في هذه المكتبة كبير الحجم مجلد بخشب . وهو مقسَّم على الكلندار او التذكارات . وعلى الصفحة الاخيرة من انجيل يوحنا علَّق الناسخ كتابة سريانيَّة مسهبة مؤدَّاها انهُ « انتهى من كتابة الكتاب سنة ١٥٤٧ للمسيح الموافقة لسنة

تواضعهِ وزهدهِ وحبِّهِ للفقراء وغيرتهِ الرسولية . وقد عُرف ايضاً بتقشُّفهِ وممارستهِ لأعمال الامانة فكان يلبس المسح ويتمنطق بزنَّار من حديد وغير ذلك مما وقف عليهِ اهلهُ دون علمهِ وبالاجمال كان مثال الكمال وقدوة الكهنوت ل. ش

٧٠٤٩ لآدم وللسنة الـ ١٨٦١ (كذا) للاسكندر بشهر اذار يوم السبت في الصوم في قرية حصرون » واسم الناسخ « الايبوذياكون يوحنا ابن الخوري ايوب ابن الارشذياقون يوحنا ابن البرديوط ابرهيم من حصرون » ويعتذر عن الاغلاط بعبارات تواضع على مألوف غيره من النساخ

ويلي هذه الكتابة كتابات متنوعة منها قيود حسنات وتقادم للكنيسة من اواني وملابس وغيرها نذكر بعضها تفكهةً للقارئ اذ لا تخلو من بعض الافادة وتدل على تدين رجال تلك الاعصر الخوالي ومحبتهم لبيت الله . وفيها ما يحقق التقليد الشائع في حلب ان المهاجرين اليها معظمهم من شمالي لبنان : « من القدماء الله يرحمهم اول على زمان الخوري فرج واولاده الله يرحمهم جددوا كاس وصينية فضة وبدلة حمره (كذا) وبعض كتب وحوايج على اسم مار الياس في مدينة حلب وكان المقتني في هل حوايج معلم عساف ابن الخوري فرج الله يرحمه » . ثم يذكر الكاتب كل النذور المقدمة للكنيسة عن يده ويتحفنا اخيرا باسمه قائلا : « هل تاريخ كان على زمان الفقير الشدياق عطاالله وهو كان ناظر ومعتني على جميع امر الكنيسة »

وهذا الشدياق عطاالله يظهر انه ارتقى فيما بعد الى درجة القسوسية اذ يذكر تقادم اخرى للكنيسة مدونة على اسفل هذه الصفحة ثم يختم الكلام فيها بقوله : « وكان المعتني في ذلك الفقير خوري عطاالله سنة الف وتسعماية للاسكندر . (كذا المأمص) »

ثم عثرنا بين الكتابات المتنوعة من هذا الباب المدونة على الصفحات الاخيرة من هذا الانجيل على كتابة ارمنية باحرف بديعة كلّفنا حضرة الاب الفاضل الخوري بولس اسيون الارمني الحلبي ان يتكرم علينا بترجمة مؤداها فاذا هي كما ترى :

« اذكروا في المسيح اليعازر مالاز الذي هو من مدينة موش ويوحنا الانجيلي من بلدة بزنك وقد اتينا كلانا الى حلب الى باب والدة الاله التديسة وعرضنا هذا الانجيل المارونى وكل من اطلع عليه ورآه فليقل ليرحمكما الله وليذكركما في ملكوته امين . عُرِّبَ بتاريخ الارمن سنة الف ومئتين (١) »

١) هذا التاريخ بالاحرف الارمنية الايجدية وهو يوافق سنة ١٥٥٣ لتاريخنا المألوف فيكون هذا الانجيل (على ما يظهر ملخصاً من الكتابات المدونة عليه) انهُ نُسخ سنة ١٥٤٧ مسيحية في حصرون واشتري لمدينة حلب سنة ١٥٥١ م وهي سنة ١٨٦٢ للاسكندر وعرِّبهُ الارمنيان

وعلى الصفحات الاخيرة من هذا الكتاب ما يلي :

« سنة ١٦٢٣ اوقفت سيدة بنت سعد ابن مارون من قرية حدشيت فردة خلخال فضة الى كنيسة مار الياس بخمس قروش وهي صدقة عنها وعن والديها . وقبل تاريخه بنصف سنة انتيجت (١ الفيه بنت حوشب الحدشيتي حرمة عبدالله بن منصور من قرية حصرون واعطت كمخة (٢ حمرا لمار الياس عن روحها وروح امواتها . وايضاً في تلك السنة اوقف ومربا غالي وكيل سيدنا البطريرك في مدينة حلب (٣ بدلتين حرير الواحدة كمخه بيضه (كذا) والاخرى حمره (كذا) الى مار الياس سدفه (كذا) بانه ومن اولاده الله يكثر انه ولده اطيتنا . وايضاً اخواه ايجبرير عمل التاج الابيض سدفه بنه »

ثم يلي ذلك حادثة تاريخية ننشرها بحروفها :

« في تاريخ سنة الف سبعي (كذا) وتسعة وعشرين مسيحية حيث انا احقر المطارين اسحاق مطران مدينة طرابلس الشدراوي في قضيان مصالح سيدنا البطرك يوحنا ابن محلوف الى مدينة حلب وصار لنا واجب وعزازة كبيرة من جماعتنا الموارنة القاطنين في المدينة المذكورة »

ثم يذكر باندهاش حادث وقوع امطار غزيرة جرى في ٢٧ حزيران . وقبالة هذه الصفحة كتابة باحرف عربية (لان كل ما نقلناه سابقاً محرّر باحرف سريانيّة) وها كها :

« فلما كان تاريخ الف وخمسماية وثمانين مسيحية سادس عشر من تموز المبارك انا الحقير القس باطشا الالياني الرومانى (٤ حضرت الى مدينة حلب المحمورة وانتقدت رعية طائفة الموارنة واعطيت للكنيسة بدلة حرير مع بطرشيلها وزندها وامرت ان لا احد يستقني بها ولا يبدلها ولا يغيرها الى الانتهاء وكل من خالف ذلك يكون تحت الوصية البطرسية فالماكل من يستسل فيها مطران كان ام قسيس ام خوري يدعي في شان المسيح والحمد لله وحده امين »

اليعازر ويوحنا الانجيلي سنة ١٥٥٣ الموافقة لسنة ١٠٠٢ لتاريخ الاروم ثم عُرِّبَ ثانيةً سنة ١٦٤٦ كما سترى بعد قليل

١) اي رقدت او ماتت وهي لفظة سريانية

٢) الكمخة في عرف النساجين في حلب النسيج من حرير وغيره

٣) ان عادة نصب وكيل علماني عن السيد البطريرك في حلب قديمة وقد وقع بسببها خلاف شديد بين اساقفة حلب والسيد البطريرك كما سترى في محله ان شاء الله

٤) هو الاب يوحنا باطشا اليسوعي الشهير الذي أرسل مرتين بصفة قاصد رسولي الى الموارنة كما سنبيّن ذلك قريباً ان شاء الله ل . ش

ثم يلي ذلك ما ياتي :

« لما كان سنة الف وستمائة وست واربعين مسيحية انعم هذا الانجيل الطاهر على يد الحقير الخاطي يوحنا حصروني باسم خوري وكان الفراغ من عمهِ في عشرين يوم من شهر آذار وكان المتمم في عمهِ الشماس رزق الله ابن اصيله الشرفي الله يجازيهِ الخير ويرحم والديه » انتهى

ودونك مثالاً من هذه الترجمة يوقفك على خواصها :

الفصل الخمسون (بموجب التقسيم السرياني)

يُقرأ يوم الاثنين سنة الرابعة من الصوم من لوقا (١٤ : ١—١٠)

« وفي ذلك الزمان بيما كان ربّنا دخل الى بيت احد رؤساء الفريسيين ليأكل خبزاً في يوم السبت والفريسيون كانوا يرصدونهُ واذا رجل واحد مستسقٍ قد حضر بين يديهِ مستشفياً واجاب السيد المجلس وقال للكتبة والفريسيين : أحلٌ يحلّ الابراء في السبت ام لا يحلّ . فاخذه السيد المجلس وشفاه واطلقهُ وقال لهم : مَن منكم الذي يسقط ابنهُ (١) او ثورهُ في بئر في يوم السبت ولا في الحال ينشلهُ ويُصعده . وضرب مثلاً نحو اولئك المدعوين مثالاً لانهُ كان ينظرهم يتخيّرون من الاماكن صدور المجالس افتخاراً : متى دُعيتَ من انسان الى دعوة لا تقعد في صدر المجلس لئلّا يكون هناك مدعوٌّ اجلّ منك فيأتي الذي دعاك واياه ويقول لك أعطِ الموضع لهذا . فتخجل اذ تقوم وتأخذ مكاناً مستفلاً . ولكن اذا ما دُعيت امضِ فاجلس اخيراً حتى اذا اتى الذي دعاك يقول لك : ياصديقي ويحي تصدّر الى فوق واجلس . فيصير لك : مدحة امام سائر المجلّسين معك » انتهى

ولسوء الحظ لم نهتدِ الى اسم صاحب هذه الترجمة التي لا تخلو من جزالة الفاظ لاسيما في ذاك العصر الذي لم تكن اللغة العربيّة معروفة في هذه البلاد بلهجتها الفصيحة كما نعرفها اليوم

نمرة ١٢ كتاب الابركسيس ورسائل القديس بولس سرياني وكرشوني . ورد على الصفحة الاخيرة من رسائل الرسل ان الناسخ انتهى منهُ سنة ٧٠٦٥ لابينا ادم وسنة ١٨٦٨ للاسكندر وسنة ١٢٧٢ من سني الشهداء وسنة ١٥٥٥ لتاريخنا في آخر يوم من نيسان الساعة الثالثة من يوم الجمعة في ايام الاب البطريرك مار الياس وفي ايام الاب المطران قورياقوس القاطن في دير مسار يعقوب اعدن وفي ايام الاب المطران داود القاطن في الكرسي دير قنوبين في ستنا العذراء مريم وفي ايام ابي

(١) في الاصل اليوناني : حمارهُ

وسند ضعفي وصاحب الفضل على حقارتي معلمي المطران البار التقي المطران مالك ... (دعاء) ... كمل على يد الحقير الخاطي العاجز ... (عبارات تواضع) من القرية المعمورة على جانب طرابلس كفرحورا — كتب الى جماعتنا الموارنة في حلب »

ثم يكتب عبارات طويلة بالسريانية مؤداها طلب الدعاء الى ان يقول في آخر الصفحة :

« وانا الحقير اسأل كل من ينظر ويقرأ هذه الاحرف ان يصلي عليّ وعلى اهالي الحدادين والوحايين وعلى معلمي الشمامين مالك التاسعي في عرم الكتاب وعلى اخي القس مركيس وعلى ابن خالي القس ابراهيم وعلى الاخ الشمس حرحس الذي تعب معي في صقيل الورق الله يوفيه تعبه في الملكوت وعلى اصلي واحوتي الرهبان القاطنين معا في الوادي المبارك قرحياه

وفي آخر هذا المخطوط الضخم المجلّد بخشب ما يلي :

« كانت الدنيا للناس فسلما قد ارتحلوا منها وخلّوها لنا : سوف نسكنها قليل من بعدهم ثم نخليها كما خلّوها لنا ... اين الذين كتبوا واين الذين خطّوا واين الذين جمعوا الاموال واشتطّوا. عليهم الدهر والايام وانقضوا ما كأنهم قط لا شالوا ولا حطوا »

نمرة ١٣ الانجيل المقدس سرياني وكرشوني في اوله قوديقوس او فهرست تقسيم القراءات على التذكارات يقول ناسخه بعد عبارات الاتضاع المعهودة ان اسمه موسى ويستذر عن الاغلاط بقوله :

« وان وُجد فيه غلطة او زحفة حدثت من نقصان العقل او نقطة سوداء او حمراء يصلحهم القارئ بمعرفة ونشاط ولا يلومني لان عوارض كثيرة عارضتني بكتبتو من نوائب الدهر ليس اقدر هاهنا بطول الشرح وصار تمامه بقرية عرقا الجون من اعمال طرابلس والنسخة الجيل سيدة حوتا بارض بان جبة بشري وابرار كثيرة يستجلوني اصحاب الكتاب ... ذلك سنة ١٦٧٣ »

ومن امعن النظر في هذا الكتاب قضى العجب من خطّه البديع ومن اعتذار الناسخ. ويظهر ان في عصره كان الموارنة يقطنون عرقا ولنا شاهد على ذلك كتابة اخرى من هذا الباب سنوردها في بابها

نمرة ١٥ كتاب تفسير ستة ايام الخليقة لمار باسيليوس تعريب عبدالله ابن الفضل الانطاكي لا ذكر للناسخ اوقفهُ السعيد الذكر المطران جرمانوس فرحات للمكتبة سنة ١٧٣٠ (١

---

١) قد وصفنا هذا الكتاب في جملة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة تحت العددين ٤٠ و ٤١ (المشرق ١٩٠٤ (٧ : ٦٧٨—٦٨٠) فليراجع

ل ش

نمره ١٦و١٧و١٨–٢٣ مسودّات تفاسير كرنيليوس الحجري للكتاب المقدس التي ترجمها القس يوسف الباني الماروني المشهور ومن هذه الكتب نسخ كثيرة في مكاتب اخرى

نمره ٣٤ تفسير الاناشيد ترجمة احد الكبوشيين في حلب سنة ١٧٦٧ بخط عربي واقفه الخوري يوسف شراباتي الماروني سنة ١٨٠٨ (١

نمره ٣٩ مصابيح الاحكام الجلية في حلّ المشكلات الانجيلية لاديب الشهباء مكرديج الكسيح الارمني الكاثوليقي. والكتاب بخط عربي نسخي بديع صدّره الناسخ بصورة السيد له المجد وابدع في تصويرها بنقوش من الذهب تروق لعين الناظر ولم يتحفنا باسمه (٢

ولمكرديج عدا مؤلفات اخرى سنأتي على ذكرها في بابها ونأسف لعدم تمكننا من استجلاء اخبار هذا الاديب المتفنن ولم يتحفنا بشرح وافٍ عن مناحي حياته في مقدّمته على كتابه هذا سوى ما يأتي من عبارات الاتضاع « وبعد فان غبار مجالس الطلّاب وخويدم الخلّان والاحباب اتمس مكرديج الكسيح » ولعلّ احد مواطنيه يتحفنا بافادة اخرى عن حياته وهل مات شمامساً او ارتقى الكهنوت الى غير ذلك مما يهمّ المطالعين (٣

ولنأتِ بذكر نبذة من كتابه هذا في بتولية القديس يوسف:

« المسئلة الخامسة والعشرون: من اين نعلم ان القديس يوسف بتول - الجواب بتولية القديس يوسف من ثلاثة اسنادات:

الاوّل اسناد نقلي مأخوذ من الانجيل المقدس وهو ان سيدنا يسوع المسيح اوصى القديس يوحنا البتول ان يحفظ عنده امهُ مريم العذراء وهذا هو الواجب ان البتول يؤتمن على البتولة. وان كان ذلك هو الواجب فيكون الارجب والاليق بتولية القديس يوسف الذي ساكن العذراء زماناً ليس يسيراً مؤتمناً عليها من الله ويضاف الى ذلك ما يقولهُ اشعيا النبي (٦٢: ٥): ان في تلك الايام يسكن البتول والبتولة معاً. فهذا النص وان كان يظهر مشاعاً فلكن الافضل به ان يختصّ بالقديس يوسف ومريم البتول اللذين عاشا معاً بعفة ملائكية لانّ قول النبي « في تلك الايام » يشير

---

١) منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة لم نصفها بعد ل. ش

٢) منهُ نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها سنة ١٨١١ حصلنا عليها سنة ١٩٠٥ ل. ش

٣) ذكرنا شيئاً من ذلك في المشرق السنة ١٩٠٦ (٩: ٢٧٨ و ٦٩٥) ل. ش

الى ايام المسيح الهنا وزمان اشتراع شريعته المقدسة التي تأمر بان تحفظ العفة سليمة غير مجروحة. وهذه النبوة يجب ان تصدق في صدر الشريعة المسيحية ثم تسري في العالم. والذي يؤكد هذا القول هو ان الشيا التي كان مقرّرًا عندهُ بروح القدس قصية مريم العذراء وحبلها الشاعر وكان يشير اليها من بعد قائلًا: ها هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا. فان كان لام (اي ال التعريف) العذراء هاها عهدية فا المانع ان تكون لام البتول ايضًا عهدية جنسية

الثاني دليل عقلي وهو ان الرجل اذا كان متولًا يصون عليهِ حفظ العفة وهو ابن لصيانة البكر من ان يكون عثيرًا معي الريبة. والدليل على ذلك ما قالهُ المعلم فابيل ان الخمر المنعي يشتعل سرعة متى قارب ادنى نار كجمرة سراج او سيس حراق. بخلاف الفحم الصلب الذي يمنع اشتعالهُ من سراج وغيره ولا يشتعل الّا بنار وافرة وهواء شديد هكذا حال الانسان الاعزب المستبصر سيرة نقية. وكما انَّ الزيبق يأسو الى كل نوع من المعادن كالذهب والفضة والنحاس وغيرها الّا الرصاص فانهُ لا يقدر ان يؤثر فيهِ اثرًا قطعيًا هكذا زيبق الهواجس الشيطانيَّة التي تعادُ الطهارة فانها تسلكُ داخلة في النفوس الّا انها لا تقدر على بتول ذي سيرة حميدة

الثالث خبر متواتر بالتقليد الكاثوليكي لأنَّ علماء الكنيسة البطرسيَّة وقدّيسيها مثل (القديس جيرانيموس وماري اغوسطين وغيرهما اثبتوا نصوصًا مقنعة على بتوليَّة القديس يوسف وان اعترض معترض) ان الانجيل المقدس قد ذكر لسيدنا يسوع المسيح اخوة وهم يعقوب الصغير ويوسف وشمعون ويهوذا فنجيب ان المفسرين ذهبوا في تفسير ذلك ثلاثة مذاهب:

الاول وهو مذهب بعض اساطفة مثل لوتاريوس اللبين وكالوينس الملحد بان هؤلاء الاخوة هم اخوة المسيح حقيقة مولودون من يوسف ومن مريم العذراء وهذا كفر شنيع

الثاني رأي اهل الشرق (١) وهو ان هؤلاء المذكورين هم اخوة المسيح لا من امهِ بل من يوسف فقط وهذا رأي ايضًا فاسد

الثالث وهو الاصح ان المذكورين هم اخوة المسيح لا من امهِ ولا من يوسف بل بالنسبة والتربية لانهم تربّوا معهُ وعاشوا معهُ فمن ثم تسمّوا اخوتهُ. ولايضاح ذلك نقول: ان الكاهن ماتان اولد ثلاث بنات وهنَّ مريم وسوبا وحنَّة. فمريم تزوجت اكلاوبا ومنهُ ولدت مريم اخرى المسماة مريم اكلاوبا في الاصحاح التاسع عشر من انجيل يوحنا ويقال لها ايضًا اخت مريم العذراء اي نسيبتها لان النسيبات يُدعون اخوات وهذه مريم اكلاوبا ولدت يعقوب الصغير ويوسف وشمعون ويهوذا الذين تسموا اخوة المسيح اي انسباؤه وولدت ايضًا بنتين هما مريم وصالومي ويقال لهما ايضًا اخوات المسيح. واما سوبا ابنة ماتان فتزوجت كاهنًا وولدت منهُ اليصابات ولهذا السبب قيل ان اليصابات من بنات هارون فهذه نسبة اجداد البتولة الطوباوية وايضاح ابوي اخوة المسيح المرقومة اسماؤهم اعلاه وحلّ اعتراض القائلين بخلاف ذلك. وكما

---

(١) هذا رأي بعضهم فقط كما بيَّن حضرة الاب انطون صالحاني في مقالتهِ عن اخوة المسيح وبتوليَّة القديس يوسف (المشرق)

يعتقد انهم اخوة المسيح لا من مريم الطاهرة وان لم يكن لنا دليل عقلي على ان مريم لم تلدهم هكذا ايضاً نعتقدهم اخوته لا من يوسف بل انه اوذه فقط وان لم يكن لنا دليل عقلي على ذلك

نمره ٤٥ تفسير رؤيا يوحنا لابن العسّال . وعنوانهُ كما يأتي بالحرف :

كتاب تفسير الابوكاليبسين اعني رؤيا يوحنّا الانجيلي الثاولوغس حبيب سيّدنا يسوع المسيح وقد فسّرهُ ابن العسّال لانهُ يؤرخ انهُ من عصره الذي فسّر فيهِ هذه الرؤيا العظيمة . وهي سنة ستة الاف وسبعمائة واثنتين وسبعين سنة للعالم والف ومايتين واحدى وسبعين للتجسد الالهي . والكتاب بخط عربي بديع جدًّا لا ذكر ناسخه اوقفه « انطونيوس بن عبدالله صدقي » للمكتبة سنة ١٧٢٦

وهاك مثلاً من تفسير ابن العسّال ملتقطة من الفصل السابع العدد ٩ .

« وبعد هذا رأيت جمعاً عظيماً لا استطاعة لاحد ان يعدّه من كل شعب ومن كل امة ومن كل لسان واقفين امام العرش وامام الحمل لابسين حللاً بيضاء واطواراً (كذا) في ايديهم »

« التبرير — هذا الجمع العظيم بحسب ما فسّرهُ بعد ذلك هم اصحاب الشدائد والمذابين كالذين سبيوا (كذا) او نُحبوا او عوقبوا او عُذّبوا من البلايا التي ادركتهم او قُتلت اهلوهم او من يعزّ عليهم كل ذلك من اجل الايمان او البرّ او ظلماً او من وقع في ادواء معضلة فصبر عليها كالمازر المضروب بالقروح المشّل بهِ في الانجيل المقدس . ومن بُلي بافقر المدقع وهو صابر محتسب الى غير ذلك من مصائب هذا العالم »

« الشعب عدة قبائل . والقبيلة اصل وضعها للقطعة من عظم الراس والجمع قبائل وبذلك سُميت الجماعة اذا كانوا بني ابٍ واحد . واللسان في الاصل جارحة الكلام وقد كُني بهِ عن الكلام والغة معروفة وهي اخص من اللسان كما تقول لسان حبشي وان كانت تحتهُ عدة لغات مختلفة تجمعها الحبشية وكذلك الرومية والتركية وغير هذه من الالسنة »

وما اوردناه كافٍ لبيان نهج هذا المفسّر

نمره ٥١ تفسير بشارة يوحنا الرسول لفم الذهب وقد اخرجهُ من اللغة اليونانيّة الى اللغة العربيّة عبدالله بن الفضل الانطاكي . كذا عنوان الكتاب : وهو بخط عربي غاية في الاتقان اوقفهُ المطران جبرائيل حوشب للمكتبة سنة ١٧٣٥ بثمن ٨ اسدي

ولابن الفضل المذكور مؤلف آخر تحت نومرو ٥٢ وعنوانهُ تفسير الرسايل للعبرانيين ليوحنا فم « الذهب نقلهُ من اللغة اليونانيّة الى العربية الشيخ الاجلّ والشماس السيد ابي الفتح عبدالله بن الفضل بن عبدالله المطران » (كذا بالحرف) (١

(١ قد مرَّ وصف هذين الكتابين في المشرق السنة ١٩٠٦ (٩ : ٩٤٧-٩٤٩) ل . ش

الصنف الثاني

وهو كتب المواعظ

نقتصر على ذكر المهمّ من هذا الصنف مراعين الايجاز بقدر الامكان ومن اراد الزيادة فليطالع فهرست المكتبة على ما وصفناه في مفتتح مقالتنا

نمره ٥٥ الدرّ المنتخب ليوحنا ذهب ترجمة اثناسيوس البطرك[١] بخط كشوني ونسخهُ سنة ١٧٠٨ القس عبد المسيح الماروني الشهير الذي خطّت يده الكريمة مؤلفات عديدة للمكتبة فضلًا عما وضعهُ من المؤلفات السريانيّة واوقف الكتاب المطران جرمانوس فرحات سنة ١٧٢٩ ولهذا الكتاب نسخ عديدة في المكتبة منها كتاب تحت نومرو ٥٨ بخط عربي نسخه جبرائيل بن ميخائيل صادر سنة ١٧٢٤ واوقفتهُ المقدسية ميلانة بنت الحاج فرحات. ونهنا نذكر هذا الكتاب اشارةً الى ما كان للنهضة العلمية في حلب ايام المطران فرحات فان النساء تحركت لاستنساخ الكتب وايقافها على المكتبة ولهيلانة هذه شقيقة السيد فرحات كتب اخرى اوقفتها للمكتبة من مالها الخاص. فتأمل

نمره ٦١ مواعظ كيرلس الاورشليمي. وعلى اوله ما يلي بالحرف: « نبتدي بكتابة مواعظ ابينا الجليل في القديسين كيرلس بطريرك اورشليم وهي ثمانية عشر موعظة والاولى ليس وجدناها فجعلنا بدو كتابنا من العظة الثانية وهي مرتبة على التوبة ومغفرة الخطايا » (٢ والكتاب باحرف سريانيّة نسخهُ القس حنا زنده الماروني في حلب في ٩ حزيران سنة ١٦٩٨ واوقفهُ المطران فرحات سنة ١٧٢٦

نمره ٦٣ مواعظ القديس اثناسيوس بطرك القدس (٣ والخطبة الاولى

---

١) هذا الكتاب طُبع قديمًا في حلب في مطبعة الروم سنة ١٧٠٧ وتكرّر طبعهُ في بيروت سنة ١٨٧٢ منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة مرَّ لنا وصفهما ـــــــــ ل. ش.

٢) هذا الكتاب يستحقّ وصفًا اوسع لعظم شأن مآثر القديس كيرلّس الاورشليميّ. ولعلّ بعض هذه المواعظ مفقودة في الاصل اليوناني فيزيد بذلك قدرها ل. ش

٣) هو على ما نظنّ اثناسيوس الرابع البطريرك الاورشليميّ الذي جلس على كرسيّ اورشليم من السنة ١٤٥٢ الى نحو ١٤٦٨. وعظاتهُ هذه قد طُبعت في حلب سنة ١٧١١ كما بيّنا في تاريخ الطباعة (المشرق ٣: ٣٥٧) ل. ش

منهُ موضوعها احد الفصح العظيم باحرف سريانيَّة وفي صدر الكتاب ما يلي: « نقلهُ من كتاب عربي عند الروم القس رزق الله تلميذ المطران جبرايل البلوزاني كتبهُ للقس حنا زنده خوري كنيسة مار الياس بحاب » اوقف هذا الكتاب المطران فرحات سنة ١٧٢٦ وللقس رزق الله هذا مجلدات عديدة كتبها بخط يده ترى ذكرها مراراً في مقالتنا هذه

غره ٦٤ التبر المكنوز لمنفعة الكاروز (١ قد التقطه من الكتاب المقدس العبد الفقير مكرديح الذي اتينا على ذكره في معرض كلامنا على مؤلفه تحت نومرو ٣٩. وقد نحا واضعُ هذا الكتاب نحوَ واضع مكتبة الواعظين الافرنسيَّة الشهيرة مما دلَّ على غزارة علمهِ واعجاب معاصريهِ بهِ وخصوصاً الخوري نقولا الصائغ وطنيهِ الشاعر الطائر الصيت. والكتاب بخط عربي لاذكر لناسخه اوقفهُ المطران فرحات سنة ١٧٢٨ ولهذا المؤلف نسخة اخرى تحت نومرو ٦٥ خطَّها المطران جبرائيل حوشب ١٧٢٩. وعلى هامشه بعد ان محي اسم الواقف الاوَّل العبارة الآتية: « صحَّ انَّ هذا الكتاب موقوفاً (كذا) من المطران ارسانيوس شكري السعيد الذكر سنة ١٧٧٤ كما شرحهُ بعد المقدَّمة والفهرس المتضمن معانيهُ كما تراها اذا راجعت ولذلك لا تتعجب اذا رأيت انمحت هذه الوقفيَّة الثانية التي صدرت بالغلط وليس بالعرض ». وقد طالعنا بعد المقدمة النص فوجدنا ما نبَّه الكاتب اليه واستدللنا ان المطران ارسانيوس شكري هو الذي اوقف الكتاب المذكور سنة ١٧٧٤

غره ٦٩ « مواعظ الخوري مخايل مجمع الايكونوموس في مدينة حلب وهو جزآن الاول يشتمل على ذمّ الخطايا والشرور والثاني على مديح الاعياد السيدية واعياد مريم العذراء والقديسين ». والكتاب بخط عربي يقرب خطّه من خط المطران حوشب الذي اقتناه واوقفه للمكتبة بثمن عشرين اسدياً ولا ذكر للسنة التي اوقفهُ فيها. وعبارة هذا الكتاب لا تخلو من الطلاوة والواعظ من طائفة الروم الكاثوليك وليس لدينا من الموادّ التي تريدنا علماً بكيفيته وعلمه وجلّ ما نعرفهُ عنهُ انهُ كان ايكونوموس مدينة حلب

---

١) منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة (المشرق ٩: ٦٦٦) ل. ش

نمره ٧٠ مواعظ خلاص الخطأة . وفي صدر الكتاب « تمّا انقهُ اغابيوس القريطشي المتزهد في دير آتوس » ولا ذكر للمترجم (١ . اما ناسخ الكتاب فهو زخريا ابن مرقس ناسخ انجيل يعقوب الدبسي الذي مرّ لنا وصفهُ وعبارة الناسخ هي بالحرف ما يلي : « زخريا بالاسم اغنسطا ابن الخوري مرقس الكاتب بحروسة حلب موطناً والارثوذكسي مذهباً سنة ١١٠٣ هجرية الموافقة لسنة ١٦٩١—١٦٩٢ مسيحية ».

وعلى اخر الكتاب كتابة نقلها بالحرف بياناً لفضل الخوري بطرس التولاوي الماروني الشهير الذي سيرد ذكرهُ مكرّرًا في مقالتنا هذه :

« ان كُتب هذا الكتاب الشريف بعناية (كذا) الاب الفاضل والبحر الكامل وقدوة العلوم وسلوة كل مهموم الحايف الله ابو نوع اوديع المدعو اغاسك الحافظ وصايا ربّهِ والمستقل لاقاويل سيده العالم العامل بما اوتمن عليهِ الكارز بالمسيح الى الايمان الصحيح مطرنة الموارنة ليهدي الى السالوك الحقيقي لديانة النصرانية المتشابه لسيرته راس الرسل التيح الاعلى انفس بطرس منحنا الله ببركة صلواتهِ المقبولة عند الله تعالى امين »

وقد اوقف هذا الكتاب للكتبة المطران جبرائيل حوشب سنة ١٧٣٩ بشمن عشر اسديات

نمره ٧٤ كتاب عنوانهُ « قوت الارواح » وعلى اوله ما يلي بالحرف :

« يحوي بعض مواعظ مرتبين من اقوال الآباء المعلمين على موجب أحدات السنة مترجمين ومنقولين من كتب الفرنساوية الى لغة العربية بمدينة مرسيليا على يد الحقير القسيس نعمه ناقد السرياني لاجل منفعة نصارى طوائف الشرق وذلك سنة ١٦٩٧ »

وعبارة الكتاب ركيكة . اما ناسخ الكتاب فقد اتحفنا باسمهِ وظروف نسخه الكتاب بالعبارة الآتية :

« نسخه ابراهيم خوجه من بلاد بشتق يسير (٢ على غرابات (٣ فرنسا يطلب من احسان القارئين فيهِ ليصلّوا الى الله من اجله حتى تتق اولاً روحهُ من يسر (امر) الخطية وبعدهُ جسدهُ من يسر الناس »

اشترى هذا الكتاب المطران حوشب واوقفهُ للكتبة سنة ١٧٣٩ بشمن ٤ اسديات

---

١) في مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسختان صالحتان يقال في احداهما ان الخوري يوسف المصوّر نقلهُ من الروميّة الى العربيّة ل . ش

٢) يريد اسير ٣) الغرابات السُفن الحربيّة

نمره ٧٥ تحت هذا العدد وما يليه مواعظ الخوري بطرس الترلاوي الشهير الذي ورد ذكرهُ تحت نمره ٧٠ وهذه المواعظ هي بخط يده بالكرشوني. وممّا هو مدوّن على اخر بعض هذه المواعظ يظهر انها من سنة ١٧٠١ وسنة ١٧١٠ وسنة ١٧١٨. اوقفها المطران جبرائيل حوشب للكتبة سنة١٧٤٧ وفيها شاهد على غزارة قلم الترلاوي

نمره ٨٢ تحت هذه النمرة العنوان الآتي « مواعظ السنيري ترجمة الجمري » وهي بخط يد المترجم باحرف عربيّة ومن المعلوم ان الاب بطرس فرماج اليسوعي هو الذي ترجم مواعظ السنيري انما الجمري ترجم ١٣ عظة كان الاب فرماج تركها دون ترجمة وهذا مسنود الى ما حرّره المطران جبرائيل حوشب بخط يده فانهُ رحمهُ الله وضع فهرستاً لهذا الكتاب وعلّق عليه ما يلي نقلهُ بالحرف :

« بيان فهرست العظات الـ ١٣ الموجودة في هذا الكتاب التي ترجمها المرحوم القس سركيس بن بطرس الجمري (١) وهذه العظات الـ ١٣ المذكورة هي التي تركها بلا ترجمة المرحوم البادري بطرس فرماج لمّا ترجم عظات المعلم بولس السنيري اليسوعي »

نمره ٩٠ عنوان الكتاب « خطبات ادبيّة نبتدي بتفسير الكتاب الملقّب خطبات ادبية ام ايضاح اربعين خديمة وكشفها للخاطي تأليف تاودوروس جنادیوس من رهبان مار فرنسيس اسقف مدينة ويليا (كذا) نقلهُ من اللغة الايطاليّة الى العربية الحقير في الكهنة الخوري ابراهيم بن جاوان من تلاميذ مدرسة الموارنة برومية الكبرى »

وعلى صفحاته الاخيرة ما يلي :

« كمل على يد الذي ترجمه احقر الكهنة الخوري ابراهيم بن جاوان كان في مدينة طرابلس الشام في عشرين من شهر ايلول سنة ١٧٣٠ وكان ابتداه في اول شهر آذار من السنة المذكورة والقاري لا يواخذني بقلّة المعرفة في اخراجه لأني غير معلم ولكن الحاجة احوجت الى ذلك ونيتي بغاية قريبي الرمتي مع اني كنت عالمًا اني غير كفوًا لذلك (كذا بالحرف) »

---

١) سترى عند كلامنا على الكتاب المدعون « ظهور الايمان » ما يكشف لك جليًا من هو هذا القس سركيس الجمري فانهُ ابن شقيق المطران سركيس الجمري وكتاب ظهور الايمان الموما اليه هو تحت نومرو ٢١٨. وللجمري كتابات ومؤلفات سنأتي على ذكرها تباعًا وهذا ممّا يشفي غلّة استاذنا الفاضل الاب شيخو الذي اظهر لي اكثر من مرة رغبتهُ في الوقوف على ترجمات تلامذة مدرستنا المارونية في رومية

نمره ٩٢ مواعظ الطران جبرائيل حوشب اوقفها للمكتبة سنة ١٧٣٣ وسنتكلم باسهاب عمَّا دوَّنهُ لنا هذا الحبر عن حياتهِ عند كلامنا على كتاب الرموز ومفتاح الكنوز وهو بخط يد المؤلف اودع لنا فيهِ ما يجعل بنا نقلهُ في محلهِ

نمره ٩٣ و٩٤ مواعظ الجمري وهي من سنة ١٧٠٨ وسنة ١٧٢١ راجع الحاشية التي علقناها على الكتاب نمره ٨٢. انتهى الكلام عن كتب المواعظ ويليهِ الكلام عن الكتب اللاهوتيَّة (لهُ تابع)

رحلة

مُحَمَّد سَعِيد بَاشَا إِلى بَارِيس

تَوطِئَة

بينما كان السلطان العازي احمد الثالث جالساً على منصَّة بني عثمان (١١١٦ – ١١١٥ ه = ١٧٠٣–١٧٣٠ م) نشبت بين الدولة العليَّة ودول اوربَّة لاسيما روسيَّة والنمسة وفرسان مالطة عدَّة حروب اضعفت نوعاً تركيَّا فجعل السلطان يطلب لهُ عضداً في مملكة فرنسا وعزم على ان يجدِّد المعاهدات القديمة التي كانت بين الدولتين. وكان اذ ذاك الصدر الاعظم رجلاً ذا عزم واقدام يُدعى ابراهيم باشا فاتفق مع سيِّدهِ على ان يجعل لفرنسة ملك قبر السيِّد المسيح في القدس الشريف وان يسمح للملك لويس الخامس عشر بان يرمِّم المعابد المتداعية فيها. فاسرع السفير الفرنسويّ لدى الباب العالي وهو المركيز دي بوناك (de Bonnac) وسافر الى باريس واخبر الدوق دي اورليان وصيّ ملك فرنسة بالامر فشكر لجلالة السلطان لطفهُ وحرَّر ١٥٠ اسيرًا من المسلمين الى جسم السفير الى الاستانة

فانتهز ابراهيم باشا هذه الفرصة الموافقة لتجديد العهود القديمة بين تركيَّا وفرنسا وطلب مستمدًّا دوليًّا يرسلهُ كسفير الى باريس لهذه الغاية فاختار رجلاً محنَّكاً كان مثَّل دولتهُ في معاهدة پسأروفتس (Passarowitz) سنة ١٧١٨ اسمهُ محمَّد افندي او محمَّد سعيد باشا واشتهر باسم محمَّد بكرمي سكز اي الثامن والعشرين لانهُ كان منوطاً باورطة اليكشاويَّة الثامنة والعشرين. فاعلن الصدر الاعظم بنيَّتهِ في ١٩ آب سنة ١٧١٩ وطلب الى السفير الفرنسويّ بان يحضر للوفد الثاني تركيَّا يتقاهُ من الاستانة الى مدينة طولون. وكان السلطان عهد اليهِ بان يبرم مع الدولتين الفرنسويَّة والاسبانيَّة محالفةً دفاعيَّة وهجوميَّة بينهما وبين تركيَّة ضدَّ

نمره ٩٢ مواعظ الطران جبرائيل حوشب اوقفها للمكتبة سنة ١٧٣٣ وسنتكلم باسهاب عمَّا دوَّنهُ لنا هذا الحبر عن حياتهِ عند كلامنا على كتاب الرموز ومفتاح الكنوز وهو بخط يد المؤلف اودع لنا فيهِ ما يجعل بنا نقلهُ في محلهِ

نمره ٩٣ و٩٤ مواعظ الجمري وهي من سنة ١٧٠٨ وسنة ١٧٢١ راجع الحاشية التي علقناها على الكتاب نمره ٨٢. انتهى الكلام عن كتب المواعظ ويليهِ الكلام عن الكتب اللاهوتيَّة (لهُ تابع)

رحلة

مُحَمَّد سَعِيد بَاشَا إِلى بَارِيس

تَوطِئَة

بينما كان السلطان العازي احمد الثالث جالساً على منصَّة بني عثمان (١١١٦ – ١١١٥ ه = ١٧٠٣–١٧٣٠ م) نشبت بين الدولة العليَّة ودول اوربَّة لاسيما روسيَّة والنمسة وفرسان مالطة عدَّة حروب اضعفت نوعاً تركيَّا فجعل السلطان يطلب لهُ عضداً في مملكة فرنسا وعزم على ان يجدِّد المعاهدات القديمة التي كانت بين الدولتين. وكان اذ ذاك الصدر الاعظم رجلاً ذا عزم واقدام يُدعى ابراهيم باشا فاتفق مع سيِّدهِ على ان يجعل لفرنسة ملك قبر السيِّد المسيح في القدس الشريف وان يسمح للملك لويس الخامس عشر بان يرمِّم المعابد المتداعية فيها. فاسرع السفير الفرنسويّ لدى الباب العالي وهو المركيز دي بوناك (de Bonnac) وسافر الى باريس واخبر الدوق دي اورليان وصيّ ملك فرنسة بالامر فشكر لجلالة السلطان لطفهُ وحرَّر ١٥٠ اسيرًا من المسلمين الى جسم السفير الى الاستانة

فانتهز ابراهيم باشا هذه الفرصة الموافقة لتجديد العهود القديمة بين تركيَّا وفرنسا وطلب مستمدًّا دوليًّا يرسلهُ كسفير الى باريس لهذه الغاية فاختار رجلاً محنَّكاً كان مثَّل دولتهُ في معاهدة پسأروفتس (Passarowitz) سنة ١٧١٨ اسمهُ محمَّد افندي او محمَّد سعيد باشا واشتهر باسم محمَّد بكرمي سكز اي الثامن والعشرين لانهُ كان منوطاً باورطة اليكشاويَّة الثامنة والعشرين. فاعلن الصدر الاعظم بنيَّتهِ في ١٩ آب سنة ١٧١٩ وطلب الى السفير الفرنسويّ بان يحضر للوفد الثاني تركيَّا يتقاهُ من الاستانة الى مدينة طولون. وكان السلطان عهد اليهِ بان يبرم مع الدولتين الفرنسويَّة والاسبانيَّة محالفةً دفاعيَّة وهجوميَّة بينهما وبين تركيَّة ضدَّ

الثمسة فاعلم المركيز دي بوباك وزير ملك فرنسة الكردينال دوبوا (le cardinal Dubois) بنيَّة الدولة العليَّة وقبل ان يأتيهُ الجواب خرج الوفد الثاني من الاستانة مبحرًا الى طولون . وكان مع السفير ابنهُ سعيد الذي اشتهر بعد ذلك بسفارة ثانية الى ملك فرنسة في ٤ ذي الحجَّة ١١٣٢ هـ (٧ تشرين الاوَّل ١٧٢٠) . وكان وصولهم الى طولون في زمن فشوّ الطاعون فيها فاستقبلهم عمَّال الدولة بكل اكرام لكنَّ قوانين الصحَّة اقتضت بان يصرفوا اربعين يومًا في الحجر ومن بعد ذلك ساروا راكبين سفينة فاخرة وقدَّمتهم على تُرعة شهيرة في جنوبي فرنسة تُعرف بترعة اوقنال لنغدوق (le canal du Languedoc) فساروا من سيت (Cette) الى مسلبار (Montpellier) ثمَّ نرنتيان (Frontignan) ثمَّ الى تولوز وبوردو (Bordeaux) ومنها الى جهة التل الشرقي حيث انتهوا الى بلوا (Blois) ثمَّ ساروا برًّا على العرَّبات الى اورليان ثم باريس حيث تراحمت جماهير الشعب لاستقبالهم وتوقَّفت اسباب الماء فدخلوا على جلالة الملك واحتفوا باعيان الدولة وزاروا منتزهات باريس وحدائقها ومناظرها وتجوَّلوا في معاهدها وقصورها كارلي (Marly) وفرسايل (Versailles) وتفقَّدوا مصانعها العجيبة ومرصدها الفلكي . وكان السفير يلقى كلَّ رعاية حيثما حلَّ وقد امر الملك احد مصوّريه المدعو جوزف باروسل (Joseph Parrocel) فصوَّرهُ وحاشيتهُ عند دخولهم الى قصر الملك المعروف بالتويلري (Tuileries) ثم عند خروجهم بعد مواجهة الملك ماريّن على جسر نهر السين وكانا الصورتين محفوظة الى يومنا وكذلك ضرب نوط يمثل السفير بازاء ملك فرنسة وفي اطار النوط مكتوب باللاتينيَّة على الوجه (Splendor nominis Gallici) اي « رونق الاسم الفرنسويّ » وعلى الظهر (Orator Imperatoris Turcarum, MDCCXXI) اي « سفير سلطان الاتراك في سنة ١٧٢١ »

ولمَّا أتمَّ السفير مهمَّتهُ نال من الملك ألطافًا غاية في الحسن والجمال يساوي ثمنها نحو ٦٠,٠٠٠ فرنك من نقودنا وكذلك أتحف الملك سعيد ابنهُ وحاشيتهُ هدايا ثمينة وسعيد المذكور انتهز تلك الفرصة ونقل من مطبعة باريس حروفها العربيَّة الى الاستانة فطُبعت الكتب لاوَّل مرَّة بالحروف العربيَّة (١ ثم رجع الوفد الى طولون مارًّا بمدينة ليون (Lyon) ثمَّ نيم (Nîmes) فكانت تُقام لهُ في كل محلّ مواسم واعياد عظيمة . ولمَّا عاد السفير الى الاستانة اخبر سيّده بما عاينهُ من عجائب فرنسة ثمَّ دوَّن اخبار رحلتهِ في التركية . وعاش محمَّد افندي يكرمي سكز معزَّزًا تحت ظلّ حماية ابرهيم باشا وتقدَّم في الوظائف حتى صار قبطان باشا . وبقي في منصبهِ الى سنة ١٧٣٠ حيث شغب الينكشاريَّة فقتلوا الصدر الاعظم ابرهيم باشا وخلعوا السلطان احمد الثالث فاقاموا بدلًا منهُ السلطان محمود الاوَّل . ثم اضطرُّوا محمَّد باشا يكرمي سكز الى الخروج من الاستانة وارسلوهُ الى قبرس فتولَّاها الى سنة وفاتهِ نحو سنة ١٧٣٥ وكان مولدهُ قريبًا من ادرنه سنة ١٦٤٠

امَّا رحلتهُ فقد طُبعت في فرنسة سنة ١٨٤١ جمعيَّة مكتب الالسنة الشرقيَّة الحيَّة (L'Ecole des Langues Orientales Vivantes) ثمَّ كرَّر طبعها في الاستانة سنة ١٨٧٦

---

١) راجع مقالتنا عن تاريخ الطباعة (في المشرق ٣ : ١٧٧)

سوائي افندي وكانت قبل ذلك نُقلت الى الفرنسوية فطُبعت في موبيليار وهذا عنوانها (John Seekes : *Voyage d'un Ministre Ottoman, annoté avec des documents inédits*) على انَّ هذه المطبوعات كلّها نادرة لم يمكنّا ان نحصل عليها. وكان فقيد رسالتنا المرحوم الاب اطون رباط وجد في حلب ترجمتها العربيَّة في مكتبة طائفة السريان فاستنسخها ناويًا ان ينشرها فحال الموت دون رغبته. وها نحن نتولّى نشرها مع تذييلها بالحواشي والملحوظات التي امكنّا جمعها. وقد تركنا الترجمة على اصلها مع ركاكة تعريبها ولم نلم من كان معرّبها. والمرجّح انها عُرّبت عن التركيَّة بعد نقلها عن الافرنسيس. ويظهر من لهجتها انَّ المعرّب حلبيّ ل. ش

نبتدي بكتابة رحلة سعيد باشا (١ من طرف العثملي الى بلد فرنسا الى عند السلطان بطريق إلْجي (٢ وذلك في سنة ١١٣٢ هجرية ١٧٢٠ مسيحية

وصول السفير الى طولون

سنة الف وماية واثنتين وثلاثين رابع يوم من شهر ذي الحجة نهار الاثنين (٧ ت١ سنة ١٧٢٠) حصلتُ مسافرًا في غليون بكالك(٣ الى نواحي فرنسا وفي عشرين يومًا خلت من شهر محرَّم الحرام بلغت الى مينا المدينة طولون صباح الجمعة ورمى الغليون المراسي مقابل تكيَّة (٤ المرفأ ثم ذلك الوقت قوّس عشرين مدفعًا لاجل السلام على المدينة وهم ايضًا ردُّوا علينا السلام بثلاثماية مدفع من ابراج المدينة

فعند ذلك ارسل وكيل البحر قبطانهُ لاجل كشف عافية الركّاب جميعهم ولاجل التهاني بوصولنا الى تلك المدينة لانهم كانوا منتظرينا من يوم الى يوم. فعندما تقدَّم القبطان الى قرب الغليون لكي يكلّمنا الّا انهُ ما اراد ان يصعد الى الغليون لسبب بعض طوارق هم متمسكون فيها في بلادهم وهي انهُ لمّا يستحوذ على بلادهم بعض امراض وبائية وتضرّ اهلها فجميع الذين يقدمون الى تلك البلاد موافين من اقليم آخر لم يسمحوا لهم ان يعاملوهم ولا يكلّموهم البتة الّا عن بعد.

---

١) كذا في الاصل والصواب محمَّد سعيد باشا كما قدَّمنا وكان مرموقًا اذ ذاك بمحمَّد افندي (Méhémet Effendi) ٢) الالبي في التركيَّة السفير

٣) الغليون ومنها الفرنسويَّة (galion) السفينة التجاريَّة. والبكالك المخصَّصة بخدمة السلطان ٤) التكيَّة الملجأ والمنزل الموقوف على الفقير

ومثل ذلك حال وصولنا نحن الى تلك الجهة فانهُ بامر الله كان موجودة رائحة طاعون في غرة (كذا) من مدينة مرسيليا وكان مات فيهِ من الناس سبعة الاف نفر(١ ومن هناك توسَّع وامتدَّ هذا المرض الى بروفانسا (Provence) وبلاد طولون (Toulon) ومن خوفهم لئلَّا ينفذ هذا الداء في بلادهم الى داخلها بزيادة كانوا يحرّجون على الغرباء والواردين ويضعونهم في التزويت (٢ اي الاربعينية بكل كمال لانهُ بعض ايام يضعونهم ثلاثين يوماً وغير ايام عشرين يوماً اكثر او اقلّ لكي في هذه الايام يتمموا الاربعينية بكل كمال لاجل الوباء فلاجل ذلك كانوا يسألون علينا من داخل عليونهم من البعد

وفي مساء ذلك اليوم عشية اتونا بزاد وفاكهة كثيرة وبكل صنف الشرابات والمربيات الفتخرة. وفي صباح ذلك اليوم الذي هو يوم السبت اتى الى عندنا حضرة المتوكل في مدينة طولون وهو ابن الامير المتوكل على حفظ عمارة البحر وقضاء اشغال الشعب جاء بتقارب الى قبال الغليون وبعد ان سلَّم علينا وعنَّانا بوصولنا بالسلامة استعذر منَّا عن عدم اشتراكهِ معنا. وكان يتوسَّل الينا ان نسامحهُ ولا نؤاخذه بعدم قدومهِ بالامس حال وصولنا وان الذي اعاقهُ ومنعهُ هو الطقس المتغيّر

ثم انهُ اعلمنا انهُ اعدَّ لنا محلًّا غير بعيد عن المدينة لاجل نزولنا فيهِ يدعى بستان السلطان واعلمنا انهُ كان مأمورًا بملاقاتنا بغاية القبول وبعد ان رجع الى البرّ ارسل الينا قاربهُ المتذهّب الذي اتى فيهِ. ونحن بعد الظهر دخلنا اليهِ وتوجهنا الى نحو المدينة فوجدنا كل مقدَّمي العسكر في الميناء على شاطئ البحر متفرّقين كل قسم وكل صنف بحالهِ وكانوا جميعهم يهدوننا كرامات وافرة وقدَّموا لنا حصانين فركبت الواحد وركب ابني الآخر وذهبنا برفقتهِ مع خوخداريتنا (٣ الى بستان السلطان وكان جنود البحر جميعهم لابسين سلاحهم يمشون مصطفّين حولنا وكذلك كان

---

١) كان سبب هذا الوباء مركب قدم من ثغر الشام فيهِ بضائع ملوَّثة بجراثيم الداء فانتشرت العدوى في جنوبيّ فرنسة

٢) هي تصحيف الكلمة الفرنسويَّة (Lazaret) نسبة الى لعازر الذي اقامهُ السيّد المسيح من الاموات فدأبوا بها الى الحجر الصحّي (الكرنتينا) التي يدعوها المؤلف بالاربعينيَّة

٣) هذه الكلمة مصحَّفة لم نستدلّ على صحتها لعلَّهُ يريد بها اتباعهُ

خارطة لرحلة محمد سعيد باشا الى فرنسة

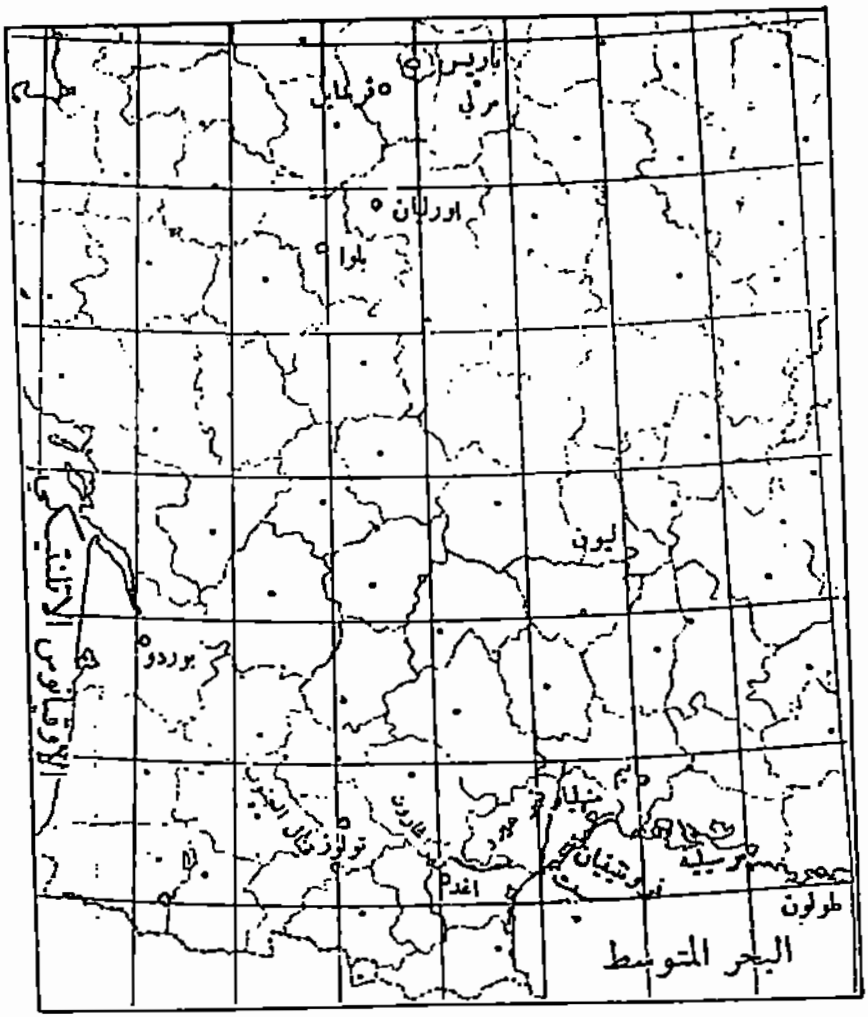

اصحاب نوبة البحر يدقُّون ويلعبون في آلاتهم مثل الطبل والنفير والصافور وكل فرقة بحالها وآلتها وعلى هذه الصفة كنا نمرّ بين جموع كثيرة قانين عن الجانبين

ثم اننا بلغنا الى بستان السلطان وهناك سأموا علينا بقواس مدافع عدَّة وفي حين دخولي الى القصر خرج الى استقبالي والي المدينة الى اسفل السلالم وسأم عليَّ بغاية الوداد عن بُعد لانهُ كان خائفاً من رائحة الطاعون ثم رجع الى مكانهِ

وفي الغد تشاوروا في انهم كيف يسفروني الى باريس وبما ان السفر في البحر كان اسهل من السفر في البرّ هيَّأوا لنا سبعة سفن معبَّرة شبه الشواطيّ (١ التي يسمونها بلغتهم ترتانات (٢ . وفي السفينة التي كنت مزمعاً ان اركبها اعدّوا لي بها اوضة خصوصيَّة وزيَّنوها وصفّدوها صدداً كاملاً يدهش العقول وعيَّنوا قبطاناً خبيراً لاجل تدبيرها

من طولون الى بوردو

وفي اليوم العاشر من سفرنا نهار الاثنين من شهر صفر (١ ك١ ١٧٢٠) نزلنا في تلك الشواطيّ المعيَّنة وبقينا تلك الليلة مقابل البر . وفي اليوم الثاني هبَّت علينا الريح المناسبة فنشرنا القلاع وسافرنا الى نصف الليلة الثانية فاتينا الى قرب البرج المسمى بلغتهم برج البوك (٣ وهناك رمينا المراسي بسبب الريح التي اختلفت علينا وبقينا في ذلك المكان اربعة ايام . وفي ليلة الاثنين رفعنا المراسي ثم سافرنا فبعون الله تعالى يوم الثلاثاء بعد الظهر بثلاث ساعات بلغنا الى مدينة سيت (Cette) فخرج وكيلها وقدم الى جانب مركبنا وسأم علينا عن بُعد وهنَّانا بالسلامة وعرض علينا سراية اعدّوها لنا داخل المدينة ووعدنا انهُ في تلك الليلة يتوقَّع لنا على قوف (٤ لاجل السفر للغد

فلمَّا ركبنا وقربنا من المكان رأينا جزيره صغيرة قريبة الى المدينة وهي قبال

---

١) هي لفظة دخيلة اصلها من الايطالية (saettia) فقالوا شاطيَّة ج شواطيّ ويقال شطيَّة من شطّ البحر و يقال ايضاً شياطيّ ومعناها السفينة الصغيرة ذات السار يين

٢) هي بالفرنسويَّة (tartane)

٣) هو بالفرنسويَّة (Bouc) اسم قرية صغيرة يصبّ عندها نهر الرون (Rhône)

٤) القوف عند الملّاحين القارب والمركب الصغير

مدينة مونبلليار (Montpellier) بعيدة عنها قسمة امبال ولم يكن بتلك الجزيرة شيء سوى كنيسة قديمة خراب وبما ان ذلك المكان مقسوم عن البر بعيد عن الناس ومهجور حكموا ان ذلك المكان يكون لنا لاجل عمل الاربعينية. فعند ذلك صرت متقلقاً بافكاري للغاية كأني في بحر وبما انَّ الرجوع كان عليَّ عسراً جداً جزمتُ على ذاتي الصبر الى ان قضينا الاربعين يوماً هناك. وبعد انتهاء الايام المحدودة اتى بك زاده (١ الذي كان مأموراً برافقتي ليذهب بي الى باريس لانهُ ما كان الى بعد. فهذا ارسل اعلمني بما كان موسوماً عليه من قبل السلطان بان يقدم يسلم عليَّ ويهنئني بالسلامة وان في الغد نتزل الى السفينة ونتوجه الى مكان يسمونهُ فرونتينيان (Frontignan) حيث اعدُّوا لنا مكاناً لنستريح فيه ونتغذى

واخبرني ايضاً انهُ سيقدم الى ذلك الطرف ويتفاوض معي ولكن كان مخفقاً عندهُ اني اكراماً الذي ارسلهُ سابقاً بكل احترام واحتشام كما ينبغي لقضاد السلاطين المرسلين من طرفهم. فكان جوابي لهُ اني سأعمل لهُ احتراماً وكل اكرام لائق ومناسب

وفي اليوم الثاني الذي هو ستة وعشرون من شهر ربيع الاوَّل (٢٥ك٢ ١٧٢١) نهار السبت غلساً نزلنا في القوف وسافرنا. فلماً وصلنا الى المدينة التي هي فرونتينيان حال خروجي من السفينة وجدت عربانة حاضرة مكلفة فركبتها حتى بلغنا الى المكان المعين لنا واذا البك زاده قادم علينا بثوب مذهَّب مهيب جداً فبعد ان قدمت لهُ الاكرام الواجب حسب المكن جلسنا على الكرسي وابتدأ يكلمني هكذا :

« ان استاذي ومولاي حضرة سلطان فرنسا لمَّا شعر في دخولكم السعيد الى حكمهِ اراد ان يظهر لجنابكم الشريف مقدار السرور الذي حدث لهُ فارسل عبدكم القائم على خدمة جلاله من ثلاثين قناق (٢ الى استقبالكم لكي اهنيكم بوصولكم بالسلامة وان شاء الله هذه الرسالة تكون لازدياد المحبة والوداد السالكة منذ زمان طويل بين المملكتين وانتخابكم من الدولة العلية الى هذه

---

١) اي ابن السيد مركبة من كلمتين تركيَّة وفارسيَّة يريد بها احد الاعيان

٢) القناق كلمة تركيَّة يراد بها المسافة التي يقطعها المسافر في اليوم والمرحلة

الوظيفة يزيدنا برهاناً على الامر وانا كذلك مزمع ان اعمل كل جهدي بهذا الخصوص لئلا يخيب املنا هذا »

وفي اثنـاء هذه المخاطبة وضعوا المائدة واحضروا لنا كل نوع من الحلاوات فبعد ان اكلنا من تلك المائدة حضرت قناصل (قناصل) المدينة مع اعيانها واكابرها بالهدايا لكي يهنئونا بقدومنا . فبعد هذا سألمنا عليهم ثم مضوا فنزلنا في القوف وعزمنا على التوجه الى سيت

وفي وصولنا اليهـا رأيت عربانة مرسلة لنا من مونبلليار من حضرة الامير دروكاور (١ فركبناها وصعدنا بها الى القلعة . فسلّمت علينا القائمة بارسال كل ما فيها من المدافع الكبار والصغـار واجتود تراهم كلهم بالسـلاح الكامل مع قباطين المراكب كانوا متفرقين من كل مكان كنا نعبر به حتى وصلنا الى محلنـا . واما الناس فغير ممكن وصفهم من كثرتهم وخصوصاً النسا .

واما السراية التي عينوها لنا فهي سراية عظيمة مبنية على شكل خان وهي كانت برسم السكن وبناؤها عظيم ومصروف على بنائها عدة مئات الف كيس (٢ واما اعيان تلك المدينة واكابرها فانهم هنأونا بالهدايا والتحف واظهروا لنا سروراً عظيماً ومكثنا هناك جملة ايام . وكان كل يوم عشرة وعشرون وثلاثون من الناس يأتون جملة ليتفرجوا علينا ولم ينقطعوا عن المجيء طول النهار والى خمس ساعات من الليل واكثر . وكانت تأتي البشر من غير اطراف مع نسا اكابر من اشراف المدينة لكي يشوفونا لأن في مملكة فرنسا النسا غالبة على كرامة الرجال فهـذه تعمل ما تشا . وتلك تذهب الى حيث تريد وتفعل ما يشتهي خاطرها وعلى هـذه الطريقة اكبر شيخ في فرنسا يراعي ويعتبر لأدنى حرمة باكثر مـا تستحق والحكم هناك للنسا . (٣

وفي الغد لمّا اشرقت الشمس رجعنا الى القوف وعزمنا على التوجه الى الجانب

---

١) هو الدوق انطون غسطون دي روكلور (Duc de Roquelaure) المولود سنة ١٦٥٦ المتوفى سنة ١٧٣٨ كان اذ ذاك والياً على اعمال لنغدوق (Languedoc)

٢) الكيس في ذلك الزمان كان يساوي نحو خمسمائة ريال

٣) لا يريد بالحكم السلطة ولكن الكرامة والاجلال رعاية لضعفهنّ ومقامهنّ في العائلة

المقصود في القنال (canal du Languedoc *ou* canal du Midi) فهذا المسمى بالقنال هو نهر عظيم محفور تجتمع فيه المياه من تلك الاطراف فقبل ان تعمل هذا القنال في القديم كان المسافرون والتجار وابناء السبيل يسافرون في البحر وكان سفرهم يجري مشقة عظيمة ومصاريف جسيمة مع طول سفر وكثرة خطر فمن قبل ذلك احدثوا هذا القنال لكي يسهل السفر على التجار وغيرهم وانفقوا في عملهم الف كيس لاجل قصر المسافة وسهولة النقل. ولكن من هذا القنال يدخل الى السلطان اموال عظيمة بغير مقدار. والآن من البحر الابيض (١ يسافرون الى البحر المحيط بين المدن والقرى من غير ان يضعوا ارجلهم في البر والنفع الذي يدخل منه الى السلطنة قد ظهر انه زائد جداً عن المأمول ولكن النفقات المصروفة عليه وجدوها زائدة الغاية عما كانوا ظنوا لانه كان ضرورياً جداً ان يبنوا بنايات عظيمة فيه من حيث ان مونتروروس (٢ كان عالياً عند نهر الاغد (٣ غاية وعشرون ذراعاً وبما انه كان غير ممكن عبور المراكب وطلوعها الى هذا العلو المرتفع عملوا حواصل (٤ من حجار منحوتة وكل واحد يسع ثلاثة او اربعة أقواف. ومبني الواحد في شرف الآخر على شكل الدرج وكان لكلّ واحد منها بابان للدخول والخروج ومتى دخل القوف الى الحاصل كانوا يسكرون الباب الاسفل والباب الاخر الذي قدام كانت له كوّتان ولكل واحد ملزمة فهذا الباب كان على شكل السد والكوّتان لجريان المياه التي كانت مرتفعة من المكان الذي فيه القوف اكثر من عشر اذرع ولمّا كانوا يفتحون الملزمتين كانت تنصبّ المياه في الحاصل وفي اقل من ربع ساعة كان يمتلئ الحاصل والقوف يرتفع على وجه الماء ثم يفتحون الباب الذي قدام فكان يدخل فيه القوف مثل الاول ولهم عادة ان يربطوا الاقواف بحبال ويسحبها بغلان او ثلاثة ايغال في هذا القنال وهكذا على هذا الاسلوب يلزمهم ان يدخلوا الثمانين حاصل الماء ويخرجوا منها حتى انهم يبلغوا اخيراً الى مونتروروس (٢

---

١) يدعو بالبحر الابيض بحرنا المتوسط ٢) هذا الاسم مصحّف ونظنّ انهُ اراد منت نوروز (Col de Naurouse) الذي يبلو ١٩٠ متراً فوق سطح البحر

٣) يريد نهر هيرو (l'Hérault) الذي يجري قريباً من مدينة اغد (Agde)

٤) الحواصل هي الشُرَع (écluses)

ولما يبلغون الى هناك يبطلون من الصعود ويبتدئون في النزول ويعبرون في اربعة وعشرين حاصلاً مثل الحواصل الاولى حتى ينتهوا الى مدينة تولوز (Toulouse) وبنا انهُ يوجد انهر كثيرة في البلاد تلتقي في هذا القنال الذي هو قادر ان تغيب فيه جرّيان هذه المياه لعظمهِ فقسموا وردُّوا مياه هذه الانهار بواسطة متارس عظيمة كثيرة يميناً وشمالاً لئلا يحدث للقنال ضرر. ومن حيث انهُ يوجد بعض الانهار سالكة في عمق واماكن سفلية عن هذا القنال جعلوا لهم جسورة عدَّة تجري من فوقها المياه من غير ان تختلط مع تلك الانهار والاقواف التي تقوفهُ (١ وتذهب فيه تعبر من فوق هذه الجسورة مع ان احياناً يكون جارياً من تحتها نهر آخر

وكذلك قد يوجد في طريق هذا القنال جبل عالٍ يتعارضهُ فما وجدوا لهُ دواء آخر سوى ان يثقبوا الجبل كلهُ من وسطهِ هكذا بهيئة غير موصوفة صنعوا للمياه قناةً مثنيَّة من حجارة منقورة طولها قدر مائتي ذراع وبها تسلك الاقواف في باطن الجبل ولكن بهذا العمل التزموا ان يقطعوا السبيل في عدة اماكن يميناً وشمالاً الَّا انهم سلكوه ايضاً بعمل جسورة عالية جداً مع قناطر واسعة للغاية حتى ان المكارية والدواب والمواشي وعابري السبيل يمشون عليها والسفن تمشي من تحتهم وغير ممكن وصف هذا المكان باللسان بل يظهر كم من النفقات الوافرة التي صرفوها على تجديد هذا القنال

وفي مساء ذلك اليوم اتينا الى مدينة اغدي (٢ وقطعنا هناك في حاصل وفي خروجنا من القوف دخلنا الى المدينة وذهبنا الى المكان الذي هيَّأوهُ لنا. وفي صباح ذلك الليل نزلنا في القوف ايضاً ولم نزل نسافر ونعبر على جسورة وقناطر وكل ليلة ننزل في بعض قصبات وقرى الى ان بلغنا الى مدينة تولوز يوم الاحد رابع يوم خلا من شهر ربيع الآخر. وفي مرورنا في القنال في تلك المدة كان كثير من الناس مشتاقين ان يرونا ومنهم من كان يأتي من بُعد خمس او ست ساعات حتى يزورونا ويرونا ويتأملوا فينا واحياناً كان من زود الخلق والازدحام يسقط البعض

---

١) اي تقطعهُ وهي لفظة مركَّبة من القوف اي القارب كما يقال لصاحب القوف قوَّاف

٢) هي اغد (Agde) السابق ذكرها

منهم في ليله لان نهر القنال في مروره على مدينة تولوز يصب في نهر آخر هناك يسمى غارون (la Garonne) وفي ذلك الحد ينتهي

ففي وصولنا الى تولوز طلعنا من القوف وركبنا عربانة وتوجهنا الى المكان المعدّ لنا. اما مدينة تولوز فهي مدينة عظيمة كبيرة للغاية ولكن بعض اطرافها خراب وبما انها غير مقصودة من تجار وبازركان (١ فلاجل ذلك شعبها قليل الّا انها مدينة ذات سمعة في تلك البلاد ومعتبرة للغاية وكان من تلك القلعة فريقا جنود مع قبطانين من قلعة مض حتى انهم تقدموا الى ملاقاتنا بعراضة (٢ وضوضاء عظيمة

وبما انهُ تستعمل في نهر الغارون القوف أخر غير التي في القنال لزمنا ان نقيم في تولوز ثلاثة ايام الى حينما نقلوا حوائجنا كلها من فوق القنال ثم في اليوم الرابع سافرنا الى سالم المينا بعزّ واكرام عظيم وركبنا السفينة في نهر الغارون ومن قناق (٣ الى قناق وصلنا الى بوردو (Bordeaux) في نهار السبت

بوردو وضواحيها

ولما خرجنا من السفينة استقبلنا اهالي القلعة في عراضة عظيمة وبلّغونا الى محلّنا لكن لم أرَ في كل سفري هناك جميعهِ قطّ في كل المدن التي دخلناها مثل مدينة بوردو في بنائها وتكوينها وفي طبع اهلها وسكانها لانها مدينة حسنة للغاية ومبنية في مكان لائق للغاية وشعبها غفير وصاحب ادب ونهر الغارون هكذا يمتدّ بهذا المقدار امام المدينة في اتساعهِ حتى ان مينتها تشبه مينة القسطنطينيّة. وثغر البحر المحيط ليس بعيدًا عنها سوى عشرين ساعة ومنهُ تأتي الفلايين الى هذه المينا وهناك ترمي مرساها بالمدينة مع انها أقواف كبار اكثرهم اربعين مدفعاً

ولما وصلنا الى ذلك المكان كان في المينا نحو خمسماية وستماية قوف غلاوين (٤ مع شواطيّ من بحر المحيط وزيادتهِ ونقصانهِ وعلى قدومهِ ورجوعهِ وصار لنا بذلك

---

١) البازركان كلمة تركيّة معناها التاجر

٢) يريد بالعراضة المظاهرات والزوق

٣) القناق تركيّة معناها المرحلة

٤) الفلايين والغلاوين جمع غلّيون للمركب السابق ذكره

سرور زائد لاننا كنا سابقاً سمعنا عنهُ ولكن ما كنا رأيناه قطّ لانهُ يزيد وينقص كل اربع وعشرين ساعة مرّتين فامّا نقصانهُ فانهُ يدوم خمس ساعات وزيادتهُ سبع ساعات ففي الزيادة يمدّ على بوردو اي يفيض الى ورائها مسافة اربع وخمس ساعات. فاما مياه نهر الغارون فوقت جزْر البحر تنكب وتجري بعزم زائد الى نحو البحر المحيط. وانا قد رأيت بعيني الغارون يفيض على علو ذراع واحد ومثلهُ يهبط ذراع آخر والاقواف التي توجد قريبة من شاطئ البحر في اوان الجزر تمكث على اليبس والّا يفيض المدّ ترتفع على المياه مثل السابق حتى ان الاقواف الذاهبة والواردة تنتظر اوان المدّ والجزر لكي تسافر بقوة هذه الحركة ومن لم يرَ بعينه فلا يصدّق لان هذا شيء بقدرة الله عزّ وجلّ

اما اهالي هذه المدينة فكان اكثرهم لمّا يتقدمون الى عندنا يزيدوننا رغبة في فرجة القلعة اخيراً تنازلنا الى عزيمتهم (دعوتهم) وذهبنا معهم الى القلعة لكي نتفرّج فرأيناها قلعة جميلة جداً وواجبة الفرجة لانها معمّرة خارج المدينة على شاطئ النهر عمارة تدهش الناظر والعقل من حسن بنائها وهي متينة جداً وفي بلوغنا اليها سلموا علينا بمدافع بغير عدد

ولما دخلنا الى داخل القلعة اخذونا الى دار حاكمها وهي دار جميلة جداً وهناك بستان على سطح القلعة ومعمّر فيهِ كشك (١عالٍ يشرف منهُ على كل البلد وعلى المينا والبحر وهو مكلّف جداً فدخلنا معهُ نتمشى في ذلك الكشك. وكان حاكم هذه القلعة خبيراً وغاوياً (مغرماً) بتربية الزهور فرأيت عنده زهوراً لم أرَها قط انواع واشكال وكان من جملة الزهور المفتحة اربعة انواع لا غير لان ذلك الوقت ما كان وقت الزهور حافل الّا انهُ في مرورنا بطرلون كان الناس يهدوننا زهوراً ربيعية في كل مكان مثل بنفسج مكبّس ونرجس وغيره

فبعد ان تفرجنا على ذلك القصر اخذونا الى اوضة وكانت مزينة بانواع التصاوير والدهونات شيء يخدع العقل منهم وجوه ملائكة وشخوصة مكللة وازهار واشجار شيء يأخذ العقل فبعد ان دخلت الى هذه الاوضة حضر لعندي حضرة قائد

١) والصواب كُوشك بالتركية ومعناهُ القصر والدبكرة والمنزهة من الخشب ومنهُ الفرنسوية (kiosque) والعربية جوسق

العسكر موسيو بَرْويك (١ الذي كان في تلك الدرجة جاء الى استقبالي وسلّم علي بكل اكرام ومودّة وشربنا معهُ قهوة وشرابات ومربيات من التي كانوا اعدّوها لنا

فبعد ذلك توسّل اليَّ حضرة القائد بان لا أواخذه ان كان ينقص شيء من اكرامنا فاجبتهُ من طرفي اني شاكر لفضله على جميع الاكرام الذي قدّمهُ لنا ثم ودّعتهُ ورجعت الى المكان المعدّ لنا . فحضرة القائد المذكور كان لهُ اشتياق زائد لان يرانا لانهُ قط ما رأى مسلمين وكان يمنعهُ من نظره الينا علوّ درجتهِ لانهُ ما كان يمكنهُ يجي الينا وكان يريد يعزمني كثيرًا الّا ان القلعة كان الدخول اليها ما هو مسموح كثيرًا ولا لواحد مثلنا لكن حال وجودي إلجي يلزم انهم يعملون لي اكراماً يليق بالاحلى

من بوردو الى باريس

ومكثنا في بوردو ثلاثة ايام ويوم الثلاثاء صباحاً نزلنا في القرف وعزمنا على التوجه الى نواحي باوه (Blois) وحينما وصلنا هناك وقفنا رجلنا في البرّ رأينا اثني عشر حصاناً يَدَكات عليها الرخوت المجوهرة(٢ وهي من عند السلطان وجاء واحد من قبل السلطان شكل سردار عسكر . وكان ايضاً رجل واحد معهم حامل رخت ذهب مرصّع بالجواهر الكريمة يسوى بدرة من المال ومعهم عَرَبانة عظيمة مكلّفة ولكن بنا ان هواء تلك البلدة بارد في الغاية وشدة البرد شديدة ما استطعت ان اشاور ذاتي كيف اصنع بل حالًا دخلت الى تلك العربانة وقصدنا المكان المعين لنا

ولكن مع دخولنا هذا كان مهيأً لنا عراضة عظيمة بعز وشان واي شان ثم رفقة ناس ذوي احترام وجنود وعساكر ونوبات وعُدَد واكرام واي اكرام . واما الناس الذين ارسلوهم لكي يرافقونا الى باريس فكانوا مقيمين بهذه المدينة في انتظارنا مع جملة لوازم السفر . والى هذه المدينة كنا مسافرين في الماء ومن هناك تركنا الماء وراءنا

فاستقمنا بهذه المدينة ثلاثة ايام ثم عزمنا على السفر وفي مكثنا هذا كنت

---

١) يريد الدوق دي برويك (G. Fr.- J. duc de Berwick) هو ابن الملك انكلترة جاك الثاني المولود في لندرة سنة ١٦٧٠ المتوفّى سنة ١٧٣٤ خدم زمناً طويلًا لملوك فرنسة وتقدّم في المناصب حتى تولّى قيادة العساكر الفرنساويّة في جهات مختلفة

٢) اليدكات ما جُنب من الخيل . اما الرخوت فجمع رَخْت وهي عدّة الخيل وحليتها

مداوماً على زيارة القصور والمفترجات والمتنزهات فوجدت في الطريق سراية (١ مبنية في مكان شرح وهي كاشفة على كل البلد وفي هذه السراية موجود ستة قُبَب ومن جملة حسن بنائها ما كنت اقدر اشبهها سوى بالباخر الفضية المخرَّمة (٢ وايضاً النقوش التي داخل هذه السراية فاني لم اجد مثلها لانهُ تشبه اوجه الساعة فسألت عن هذه السراية فقيل لي ان هذه السراية قد بناها السلطان فرنسيس الاوَّل بهذا الاسم بين سلاطين فرنسا وهي مختصة باقنوم السلطان وتسمَّى سراية السلطان الَّا انَّ افصح لسان واقوى جنان من البشر لم يقدر يصف حسن هذه السراية ولا متنزهاتها لانها فريدة وغير ممكن وصف ما رأيت داخل هذه السراية من الحركات التي لم يتصورها العقل ومن دواليب الماء ومن السواقي العجيبة والاشجار المقصوصة التي كل واحدة منها تشبه شكلاً فمنها ما هو على شكل خيام ومنها على شكل اوضة وشكل خيل عليهم وكَّاب وما اقدر اصف ما رأيت

ثم اننا من هناك انتقلنا الى اورلانس (Orléans) وهذه المدينة بعيدة عن باريس عشرين ساعة وبما انها في مكان الامان لم يعتنوا في حفظها ولا في عمارتها ولا حفظ قلعتها . فرأينا هناك جزءاً من عسكر السلطان مشتِّياً في هذه المدينة . فهذا العسكر لمَّا اقبلنا خرج الى استقبالنا مسافة ساعة بعيداً عن البلد والجنود كلهم واقفون بصفوف منظمة الاشكال الى حدّ المدينة وكل اهالي المدينة مع الاعيان ايضاً اجتمعوا لكي يرونا ويسلموا علينا مثل ما كان يحدث في بقية البلدان التي مررنا بها

ولمَّا وصلنا انزلونا في مكان معيَّن لنا وهو سراية مكلفة وكانت هذه السراية مزيَّنة بانواع التصاوير والنقوش وهي اشخاص جميلة مثل شبه الملائكة وشبه نساء جميلات وسائر الطيور والوحوش بأكمل هيئة وهي مصمودة بانواع الفرش الجميل شبه اوض اهل الصحبة (٣ الاعلى . فاستقمنا في اورلانس يوماً واحداً

وفي الغد سافرنا من هناك وبلغنا الى سراية قريبة من مدينة باريس وقد كانوا قد هيَّأوها لنا وكان وصولنا اليها في تسعة ايام خلت من جمادى الاولى نهار السبت

---

١) السراي والسراية بالتركيَّة بلاط الملك والقصر

٢) هذا القصر من افخم قصور فرنسه يُعرَف بقصر بلوا (le Château de Blois)

٣) يريد باهل الصحبة الاعيان وحاشية الملك

واستقمنا هناك سبعة واحدة وفي هذه السبعة أيام لم استطع اشرح كثرة الكرامات وازدحام الشعب وخصوصاً اكابر المملكة الذين كانوا يأتون تبديلاً (اي مناوبةً) مستترين (متنكرين) ومنهم من يأتي ظاهراً ولم أرَ مثلما صار بهذه القلعة من ازدحام الشعب وكثرة الخلق ليلاً ونهاراً حتى كنت اظنّ ان بتلك الأيام عرساً او مرسحاً

وعلمت ان عند الدولة الفرنسارية وظيفة ليست عند العثملي تسمّى هذه الوظيفة وظيفة مُدخل القصّاد (introducteur des Ambassadeurs) وهي عندنا شبه قبجيلار كهياسي (١ وهذه الرتبة هي انهُ لما يدخل قاصد الى فرنسا ويطلب الدخول عند السلطان فاولاً يذهب مدخل القصاد بنفسه الى عند القاصد ويهنئهُ بالسلامة ويرافقهُ في دخوله ويأخذه الى عند السلطان . تلك هي رتبة مدخل القصاد

فهذا الرجل حالاً اتى الى عندي ثاني يوم بعد وصولي الى السراية وهنأني بالسلامة من طرف السلطان واهداني اعزازاً واكراماً السلطان ومكث عندي برهة زمان ومضى . ثم بعد يومين آخرين اتى نكي يعلمني انهُ اليوم القادم وقت الظهر يكون دخولي الى باريس وان هناك هيأوا لنا محلاً واعلمنا انهُ تنبّه على سائر الجنود ان يصنعوا لكم آلايا(٢ حافلاً وهم مستعدّون للقائكم في الطريق ويسلمون عليكم بعزّ واكرام . ثم اخبرني انهُ بعد ان تعيّن اول سردار (٣ عسكر فرنسا الى مرافقتكم الى طرف السلطان اختلف اخيراً الرأي كون المذكور وظيفتهُ تربية حضرة السلطان وايضاً لاجل كبر عمر المذكور وقلة قوّته وعدم استطاعته على ركوب الخيل فقد تعين مكانهُ القائد الثالث وهو حضرة موسيو ويسترس (٤ وهذا القائد المذكور يوم الاحد ياتي الى عندكم ويأخذكم في عربانة من عربانات السلطان وتذهبوا معهُ الى باريس . وقلنا : سمعاً وطاعة

---

١) معناها بالتركيّة كبير الحجّاب . وكان وقتئذٍ مدخل القصّاد السنيور ريمون (Rémond) يساعدهُ السنيور مرلين (Merlin).

٢) الآلاي بالتركيّة الموكب الحافل

٣) السردار قائد العسكر وهي تركية

٤) هذا الاسم مصحّف في الاصل يريد به المرشال ديسترى (le Maréchal d'Estrées) واسمهُ فكتور ماري وُلد سنة ١٦٦٠ وتوفي سنة ١٧٣٧

دخول السفير الى باريس

ثمَّ مضى وثاني يوم اتى الينا واحد آخر وظيفتهُ ترتيب دخول القصَّاد الى عند الملك فهذا حين اتى الينا سألني عن عدد ارفاقي وكَّاب الخيل لكي يأتي بخيل من اسطبل الملك فاعطيتهُ عددهم كما طلب ومضى. ثم اتى امير اخور (١ السلطان وكان اسمهُ سنيور كونيارد (٢ فهذا رتَّب وحضَّر كل شيْ ثم وصل القائد ويتريس مدخل القصَّاد في عربانة ومعهما عربانة السلطان وناعيك من عربانة سلطان فرنسا فنهضتُ حالًا لاستقبالهما واكرامهما. وأما رأياني اعلماني ان حضرة السلطان الله يحفظهُ ارسل لك عربانته التي حضرتهُ يركبها وان ارباب الدولة ايضاً سيرسلون لكم كل واحد عربانة شكل يدَك (٣ فبعد ان يركبوا جماعتك فاذا فضل منهم شيْ يُسحَب شكل يدك

ففي تلك الساعة رأينا مقبلة الينا عربانة واحدة كأنها مزينة بالذهب والجواهر الثمينة وهي مزينة بزينة تفوق العقل. فركبت تلك العربانة التي لم اجد مثلها قطّ ولا مثل زينتها ومشيتُ فمشيت العساكر بالآلاي منظوم وخيل السلطان وكانت خيالة الملك تلعب في الميدان وكذلك اتباعي كانوا يلعبون معهم على الخيل. وكان الآلاي منظوماً على هذا الشكل منهم ناس لابسون فريّ بايديهم طبنجات (٤ ومنهم ناس لابسون عبيّ في شكل غريب وهم ماسكون رماح وفي اثرهم الاغاوات

وكان امامي ماشيًا قبجيلار كهياسي وابني كان راكباً وراني مع الكتخدا (٥ وبعد هؤلاء كانوا يسحبون ستة روؤس خيل احصنة مزيَّنة بزينة لائقة وبعد هؤلاء ترجمان السلطان مع السر آخور (٦ وبعدهم انا راكب حصاناً مزيَّناً وعربانة السلطان بجانبي لاني كنت خرجت منها لكي يراني الخلق وكنت لابساً ثوباً مذهَّباً مهيباً

١) الامير آخور هو الموكَّل على الاسطبلات الملوكيَّة (Grand-Ecuyer)

٢) لم نجد شيئًا من اخباره والاسم يمكنهُ ان يكتب Cuynard او Quinard او Cunard او Guignard

٣) يَدَك بالتركيَّة تقال للفرس المجنوب استعملها هنا للعَرَبة الفارغة تُركب عند الحاجة

٤) هي البندقيَّات الصغيرة او الفرود

٥) الكتخدا ويقال كهيا هو عند الترك قيم الدار وصاحب التدبير .

٦) السر آخور كالامير آخور . وسر بالتركيَّة الرأس

وعن يميني القائد ويستريس وعن شمالي مُدخل القصاد وهما راكبان خيلهما وآخر الكل كان رجيسنت (١ آخر من الخيالة ومن ورائهم العربانات بصفها على مراتبهم لان اسواق مدينة باريس هي واسعة بهذا المقدار حتى ان عرض الزقاق او السوق يسع ست عربانات اذا جرت فيها على السواء

وكان الشعب الذي رأيتهُ يوم دخولي جمعاً غفيراً وفائضاً جداً حتى ان بعض الاماكن وبعض الحارات بالكاد كنا نقدر فيها على المرور لان اكثر الشعب اتى من جهات عديدة لاجل الفرجة وايضاً بيوت باريس كذلك هي مبانية عالية حتى ان اكثرها مبني على ثلاث او اربع طبقات ولكن غير ممكن ان اقدر اصف او احصي كثرة الشعب والخلق الذين كانوا واقفين في الطرق والابواب والشبابيك الكاشفة على الطريق حيث كنا نعبر وفي كل مكان ما كنا نرى سوى رؤوس ورجال واطفال. وعلى هذا الترتيب وصلنا الى السراية المتعينة للقصاد وجميع البياوق التي كانت معنا واقفة صفوفاً صفوفاً والجميع يسلمون علينا ثم بدأوا يعبرون قدام تلك السراية لاجل الفرجة

فعند ذلك القائد ودعنا ورجع الى مكانهِ وبعده بدا الرجال والنسا يأتون الى عندنا في ازدحام عظيم منهم اناس يأتون الى زيارتنا ومنهم يأتون بطريق فرجة خصوصاً لكي يتفرجوا علينا كيف ناكل. وكان ياتي من طرفهم اناس يطلبون منا ان الست الفلانية تريد تأتي لتبصر كيف تأكلون لان هذا اعظم اشتياقهم وبما ان كانت بينهم نساء امارة واكابر فما كان يمكننا ان نمنعهم. ومن حيث ان الصيام الكبير كان واقعاً عند النصارى وذلك الوقت حاكاً فكان اكثرهم يحوطون بالمائدة ويتفرجون علينا فقط من غير ان يذوقوا شيئاً من المائدة ونحن كنا نصبر على ذلك لان هذه عادة عند الفرنساوية انهم يروحون يحضرون على اناس مثلنا حتى يتفرجوا على اكلهم

وكذلك لهم عادة ان يحضروا على غداء السلطان وعشائهِ. ولهم ايضاً عادة ان السلطان اذا قام من الرقاد ولبس ثيابهُ تصطفُّ اهل الدولة حولهُ وكذلك كانوا يفعلون معنا والمرمنا ان نصبر على هذه العوائد جميعها (لهُ بقيَّة)

١) من الفرنسويَّة (régiment) بمعنى طابور العسكر

اوهام العقليين في الوحي الالهي

للاب نزيل ايلا اليسوعي

قد قدَّمنا لك (١ أنَّ الايمان هو الاعتقاد بنطوق الوحي الالهي. وليس هذا الاعتقاد عن جهل ولكن لداع يعرفهُ العقل قبل ان يُؤمن وهو كون الله الواحي علينا صادقاً لا يَضلُّ ولا يُضلُّ

وعلمتَ ايضاً انَّهُ تعالى لم يُنزل كلامهُ وأمرَ على كلِّ من العباد وانما اصطفى افراداً منهم وخصَّهم بوحيه ليحملوهُ الى جميع بني جلدتهم

وقد وعدناك باثبات صحَّة لوحي المسيحي بان نكشف لك القناع عن رسالة المسيح ورسلهِ فتتحقَّق انَّهم انما تلوا الكنيسة المقدَّسة كلامَ الله الحي وترى اننا نحن المسيحيين نؤمن بهِ صواباً وصلاحاً لا جهلاً وغواية

ولكننا لم نقرع باب هذا البحث الَّا وتصدَّى انا قوم من المارقين عن الايمان القويم قَصْدَ ايقافنا عند هذا الحدّ. انتصبوا في وجهنا وإنْ هم على زعمهم الَّا منتصرون للعقل محافظون على كرامته. يقولون: علامَ الفحص؟ علامَ التنقيب؟ وانما انتم ساعونَ وراء عنقاء المغرب. تحاولون ايضاح امرٍ هو محال وتُنقِّبون عن حادثٍ لم يقع قطّ بل ليس الى وقوعهِ من سبيل. تقتسالون هل آتى الله اولياءهُ كلاماً ليحدِّثوا بهِ وما كان سبحانهُ ليحدِّث البشر ابداً وان يرنَّ صوتهُ في جنان عبادهِ ذاك خلفٌ يمجُّه العقل السليم ويَذرُوه مع سائر الخرافات التي استسلم اليها اهل التعصُّب. وعَهْدُهُ امرٌ مستطاعاً فانَّ الرب منزَّه عنهُ لا يضيع الوقت فيما لا طائل تحتهُ. فَلِمَ تُرى يتكرَّمُ علينا بوحيٍ من عنده وما عسى تعليمهُ يجدينا نفعاً. أما حسبُنا نبراس العقل نتذرَّع بنوره فنقرأ في كتاب الطبيعة ونُحرز ما يكفينا ويزيدنا علماً وادباً ودِيناً؟

وان قلنا لهم انَّ هناك حقائق غامضة تُدعى اسراراً لم تحكِ عنها المبروءات المعهودة لدى الحجى البشريَّة بل هي اسمى من ان تُحلِّق اليها بصرُ العقل فلا سبيل الى معرفتها الَّا بارشادٍ علويّ يُنير البصيرة فيمكِّنها من التحديق اليها. اجابونا:

(١ المشرق (١٧: ٣٠)

بين دسائسكم وجود الله في اوهامكم التي اثارتها العصبية الدينية فهاجت فيكم وماجت وقادكم تيارها الى ان خلتم وحياً من رب الانام كل ما عنّ لكم وانتم في عالم الاحلام. فارعووا ولا ترضخوا الا للحق ظاهراً صريحاً. تبذون الايمان بالاسرار على كلام الله وتعالى ربكم عن ان يأتيكم علماً بما يفوق العقل ادراكاً

تلك هي دعواهم وغاية مسعاهم فانهم يُدعون عقليين (rationalistes) لانهم ظنوا العقل والوحي ضدّين فهمّوا بتذليل هذا طلباً الى تعزيز ذيّاك

فسبيلنا اذاً اقامة الحجة على امكان الوحي ولياقته وضرورته. ولكن رأينا ان نبسط لك قبيلَ ذلك فصلاً في اخبار اعداء الوحي وآرائهم وما يربطهم من قرابة المبادئ مع من سبقهم من الضالين وما آلت اليه مزاعمهم من النتائج الفاسدة على الحوادث والنتائج تقوم شاهدةً على بطلان المصادر والمقدّمات « فمن ثمارهم تعرفونهم » (مت ٧ : ١٦)

وتمهيداً لكل ما سيأتي البحث عنهُ نتقدّم لك اولاً شرحاً في ماهيّة الوحي

١ ماهيّة الوحي

الوحي لغةً الاشارة والكلام سراً والاعراب عمّا تخفيه عن غير من تخاطبه. وجاء ايضاً بمعنى الاسراع. اما لاهوتاً ودينياً فهو ان يظهر الله للانسان حقيقةً ما. ويكون الوحي طبيعيًّا وفائقاً على الطبيعة

فالاوّل ما يقع ضمن دائرة الطبيعة العقليّة المخلوقة بنطرقه او بكيفيّة نطاقه. فليس موضوعه ممّا يفوق ادراكنا الفطريّ ولا نحن نتوصّل الى معرفته بطرق تُغاير ما أُلفناه في معرفة باقي الاشياء. فالوحيُ الطبيعي سوى ما يُحدّثنا به تعالى بلسان مخلوقاته فانّهُ عزّ وجلّ قد اوجدَ وجعل نصب اعيننا برايا اذا أعملنا الفكرة فيها انبأتنا بوجود مبدعها ذي الكمال المتفرّد في صفاته التي لا نهاية لها. وفي هذا المعنى قال الرسول (رو ١ : ١٩—٢١) : « انّ ما يُعلَم من الالهيّات هو واضح فيهم (اي في الامم) اذ قد اوضحهُ لهم الله. لأنّ غير منظوراته قد أُبصرت منذ خلق العالم اذ أُدركت بالمبروءات وكذلك قدرتهُ الازليّة والوهيّتهُ ». وجاء ايضاً في الزبور (مز ١٨ : ٢—٣) انّ « السماوات تنطق بمجد الله والجلد يُخبر بعمل يديهِ. يوم ليوم يفيضُ قولاً وليلٌ لليل يُبدي علماً » كذلك الناموس الطبيعي يُفصح عنهُ

الضمير وفيه قال القديس بولس (رو ٢ : ١٤–١٥) انَّ الامم « وان لم يكن عندهم الناموس (الوضعي الموحى الى موسى) فهم ناموسٌ لانفسهم ويُظهرون عمل الناموس (الطبيعي) المكتوب في قلوبهم وضميرُهم شاهدٌ وافكارُهم تشكو او تحتجّ فيما بينها » على انَّ هذا الضرب من المعرفة لا يُدعى وحياً الّا على سبيل التوسّع في المعنى وليس كلامنا عنهُ فيما يلي. فانَّ العقليين لا ينكرونهُ بل لا يرضى المتطرّفون منهم الّا بهِ. وانما اسهبنا في ايضاح حقيقتهِ تمييزاً لهُ عن الوحي الذي يفوق على الطبيعة

فانَّ هذا الثاني هوَ الوحي بحصر القول وهو الذي يرفضهُ العقليُّون وعليهِ نقتصر في عجالتنا هذه. واليك تحديده : الوحي ما خرَجَ عن نطاق الطبيعة العقليَّة المخلوقة وذلك على أحد الوجهين الآتيين :

١) قد يكون منطوق الوحي من المدرَكات الطبيعيَّة التي لا يتعذَّر على العقل الغريزي اذا اعتُبِرَ في حدّ ذاتهِ ان يعرفها بنفسهِ. ومع هذا يعربُ الله عنهُ لرائيهِ بطرقٍ خارقة الطبيعة مختلفةٍ عمَّا الِفَهُ البشر في كيفيَّةِ تحصيل معارفهم فيفوق حينئذٍ الوحيُ على الطبيعة من حيث طُرق هبوطهِ فقط لا من حيث موضوعهِ ويُدعى خارق الطبيعة او متعدّياً لها (préternaturel) . ولك مثالٌ عليهِ في وجود الله ووحدانيَّتهِ وعدلهِ ونهيهِ عن القتل والانتحار فانَّ هذه الحقائق وما نحوها لا يعجز العقل عن اكتسابها بذاتهِ ومع ذلك قد القى تعالى علينا وحياً بها لاسباب سيأتيك بيانها

٢) وقد يكون موضوع الوحي سرّاً غامضاً لا يستطيع الانسان مطلقاً الاطلاع عليهِ بذاتهِ مهما أجهد فكرهُ وتوغَّل في تعليل الكائنات فلا بدَّ للوصول الى معرفتهِ من عالم ربَّاني يأتينا بهِ الله على أسلوب يتعدّى ناموس الادراك الطبيعي. فيفوق الوحي اذ ذاك على قوى الطبيعة من حيث موضوعهِ وطرق ورودهِ معاً ويُقال لهُ فائق الطبيعة بحصر المعنى. ولك فيما يخصّ موضوعهُ امثالٌ في الاحكام الالهيَّة المنوطة باختيارهِ وحرّيَّتهِ تعالى. وفي هذا المعنى قال الرسول (رو ١١ : ٣٣–٣٤) : « يا لعمق غنى الله وحكمتهِ وعلمهِ ما أبعد احكامهُ عن الادراك وطرقهُ عن الاستقصاء. مَن عرف فكر الربّ ومن كان لهُ مشيراً ». ومن ذلك ايضاً سرّ الثالوث الاقدس وغيرهُ من الحقائق الخفيَّة التي لا يستطيع العقل الوقوف عليها بمعزل عن الوحي

اما طرق هبوط الوحي على اولياء الله فهي أوفر من ان يتَّسع بنا المجال لبسط الكلام فيها مفصَّلاً. ولا حاجة الى معرفتها محدودةً معيَّنةً للاستدلال على امكان الوحي. فنقتصر الآن على الاشارة الى اخصّ ضروبها. فمنها الكلام الالهي والرؤيا والعلم المُفاض الخ. وقد قسمها القديس توما اللاهوتي اجمالياً الى ثلاثة ضروب او طرائق وهي: الطريقة الحسيَّة والخيالية والعقلية المحضة قال (١):

« قد يؤثِّر الله في ذهن النبي فتتراءى له احياناً اشياء خارجية فيبلِّغها بحواسّه وعلى هذا رأى وقرأ دانيال الكتابة على الحائط في قصر الملك بلشصّر (سفر دانيال ٥). واحياناً تتمثل للنبي صور خياليَّة بها ما لم يَجُزْ مطلقاً بالحواسّ الخارجيَّة فيطبعه تعالى مباشرةً في المخيّلة (كما لو طُبعت مثلاً اشكال الالوان في مخيّلة من كان اعمى خلقةً). ومنها ما يُكوِّنه الله من الخيالات الطبيعيَّة التي سبقت الى المخيّلة على طريق الحواس الخارجيَّة فيأخذ حالَ قدرتُه بعض هذه الخيالات ويُركِّب منها صورة خياليَّة تأتي بالمعنى الذي يريد القائه على ولِيِّه. ولذلك على هذا مثل ارميا اذ رأى قدراً تغلي ووجهها من جهة الشمال (ار ١ : ١٣). واحياناً ينتهي التأثير الرَّباني الخارق الطبيعة تارًا الى ذات الروح في النبي فتُطبَع في ذهنه صورٌ عقليَّة محضة لم تؤخذ عن الحواسّ الخارجية ولا عن المخيّلة على ما يتضح في الذين نالوا العلم المُفاض (science infuse) او الحكمة المفاضة ومنهم سليمان الملك والرسل »

وقد يأتي الوحي الخارق الطبيعة على لسان الآيات والمعجزات وهي مفاعيل ظاهرة يُقصِّر المخلوق عن اتيانها فيتوثَّق الانسان باستقرائها وتعليلها الى ان يعرف الله علَّةً لها أحدثها ليُفهمنا بها ما قصده كما نتوصَّل باستقراء المفاعيل الطبيعية وتعليلها الى ادراك وجود الباري وكمالاته. فتكون الآيةُ إذن استبراءها وتقصّاها قولاً من الله صانعها يفصح به عن افكاره واحكامه من ذلك ان « امطر الربّ على سدوم وعمورة كبريتاً ونارًا... وقلب تلك المُدُن وكل البقعة وجميع سكّان المدن ونبت الارض » (تك ١٩ : ٢٤—٢٥) فهي آيةٌ تنطق بعناية ربِّك بمخلوقاته وببغضه للمنكرات يقتصّ منها شديداً حتى في هذه الدنيا. وايضاً اذ مات المسيح « فاظلمت الشمس (قبل وقت غروبها) وانشقّ حجاب الهيكل اثنين من فوق الى اسفل... وتزلزلت الارض وتشقَّقت الصخور وتفتَّحت القبور وقام كثيرٌ من اجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامة الربّ واتوا الى المدينة المقدَّسة وتراءوا لكثيرين » (مت ٢٧ : ٥١—٥٤ = مر ١٥ : ٣٨ = لو ٢٣ : ٤٥) فهو الله لا ريب

١) الخلاصة اللاهوتية (ج ٢ من القسم ٢ المطلب ١٧٣ ف ٢)

يكلمنا بلسان الحوادث ويُنذر اليهود منبئاً انَّه مجرهم وهجر قدس أقداسهم فلا يمدُّهم بعدُ شعبهُ الخاص ولا يتقبَّل عبادتهم في الهيكل الاورشليمي وذلك غضباً عليهم لرفضهم رسالة ابنهِ الوحيد وقتلهم إيَّاه ظلماً وعدواناً. وبمنطوق هذا الوحي آمن قائد المئة والذين كانوا معهُ يحرسون يسوع فانهم " خافوا جدًّا وقالوا: في الحقيقة كان هذا ابن الله » (مت ٢٧: ٥٤)

٢ ـ انواع العقليين

العقليون فئتان : فمنهم المتوسطون (semi-rationalistes) الذين ينكرون الاسرار ظنًّا منهم انها تناقض المبادئ الراهنة لدى العقل ومنهم المتطرِّفون الذين ينفون الوحي اصلًا لانهُ في زعمهم من المحالات المطلقة. ولا خطَّة في الطرفين فهي واحدة ومرجعها الى تشبُّث عدوّ الوحي بفلسفتهِ الشخصيَّة لا يرضى بسواها قاعدة للدين فكلُّ ما خرجَ عنها فهو باطل يُحكم بهِ وعليهِ قبل التنقيب عنهُ

ولم يَرد في التاريخ اسم العقليين الَّا بعد نشأة البدعة البروتستنتية. على انَّ المسمَّى سبق الاسم باحقاب وانك لتتحقق هذا سواء اعتبرتَ خطَّتهم او مبادئهم. فمذهب العقليَّة خُطَّةٌ هو تمرُّد العقل على شريعة الايمان ومكابرة الانسان للموحي الالهي. وراس الكبر هو ابليس فلا تعجبنَّ اذا ما رأيتهُ في جنَّة عدن قد تقمَّص على صورة الحيَّة فوسوس لحوَّاء وحملها على مخالفة الربّ في شأن نهيهِ ابوَيْنا الاوَّلين عن اكل ثمر شجرة معرفة الخير والشرّ قال خزاه الله (تك ٣: ٤ـ٥): « لن تموتا انما الله عالمٌ انكما في يوم تأكلان منهُ تنفتح اعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشرّ » وهو تكذيب كلام الله الملقى على آدم وحوَّاء (تك ٢: ١٦ـ١٧) وتطميعها بتألُّه عقليهما يحملان عليهِ باحراز معرفةٍ تختلف عن التي اتاهما تعالى اياها وكل هذا من اطوار العقليين

ومن ذلك العهد لم يفتإ الشيطان يحتال على بني الانسان ليورِّطهم في الغرور ويدفعهم الى عصيان خالقهم ليس فقط بمخالفة شرائعهِ بل بنفي آياتهِ المنزلة. راجع توراة موسى واسفار الانبياء تجدها ملأى بتقريعاتهِ عزَّ وجلَّ لشعبهِ الخاصّ على قلَّة ايمانهم ومحاجَّتهم لاوليائهِ الاصفياء واذعانهم الى تُرَّهات الانبياء الكذبة

كذلك الكتبة والفريسيون في زمن المسيح كانوا ينبذون تعاليمهُ ظهريًّا كلَّما

ناقضت احكامهم السابقة. فاذا صرّح بالسلطة التي تؤيده اياها الآب وأشار الى حقيقة لاهوته وتنبأ على قيامته قرّفوه بالتجديف واتّهموه بالجنون (يو١٠: ٢٠-٢١=مت ٢٦: ٦٥) واذا افحمهم بحجّة معجزاته تغافلوا عنها وتعاموا (يو٩: ٨-٣٤) او عزّوها اما الى قوى الطبيعة (يو ١٢: ٢٩) واما الى بعلزبوب (متى ٩: ٣٤) وسيتبيّن لك انّهُ اذا كانت فلسفة العقليين غير فلسفة الفريسيين فانّ الخطّة واحدة في الفئتين لانّ كلهم يعارضون باحكام سابقة حوادث ثابتة راسخة نتحقّقها بامّ العين. لا يرضون الّا برأيهم وعلمهم قياساً للامور فكلّ ما زاد عليه فهوَ باطلٌ محال

وعلى نفس هذا النزع كان يجري ايضاً الفلاسفة الوثنيّون الذين تحاماوا على الديانة النصرانيّة ايام نشأتها. منهم شلسوس (Celse) الذي فنّد مزاعمه اوريجانوس في كتابه المشهور. ومنهم فرونتو (Fronto) وهو على ما يظهر (١ الذي استعار لهُ مينوشيوس فليكس اسم شيشيليوس فبسط آراءهُ في محاورته الموسومة اوكتافيوس (Octavius) من فصلها الخامس الى الخامس عشر (٢ واوّل ما يتحقّقهُ هناك المطالع هو اعراض الفيلسوف الوثني عن النصرانيّة قبل ان يستطلع ادلّتها بل لمجرّد ما رأى في تعليمها ممّا يضادُّ فلسفتهُ لانهُ يأبى سواها قياساً وحدًّا للديانة. فانّ شيشيليوس ينتمي الى مذهب الارتياب السفسطائي ويعتقد عجز العقل البشري عن تحصيل اليقين في مداركهِ فيُعجب بل يأسف لفحة المسيحيّين كيف يجزمون بامور الهيّة وهم على ما يزعم اغلبَ الاحيان سُذّجٌ اميون لم تُشرق عليهم شمس الفلسفة ولا يفرقون حكمةَ الجهّال من العامّة فانّى لهم ان يرذلوا ديانة الشعب او ينكروا وجود آلهتهِ الذين طالما حاول الجهابذة من المفكّرين تنكيس اعلامهم وتقويض هياكلهم فعادوا بصفقة خاسر. ثمّ يعمد شيشليوس الى اسرار النصرانية وقبل ان يطلب الحجّة على صحة الوحي بها يجعلها في مصافّ الخرافات والسخافات العامّيّة. فيستخفّ بالنصارى واعتقادهم بإله مصاوب لا بل يُنكر عليهم ايمانهم بالهٍ واحد لم تبصره قطّ اعينهم ولا يستطيعون إطلاع غيرهم عليهِ كانّهُ ليس لدى الحجى

١) راجع البحث النقدي للاب ن. لونوري (le Nourry) من رهبانية القديس مبارك في كتاب «مينوشيوس فليكس» الآتي ذكرهُ في المتن (مجموع الآباء اللاتين لمين ٣: ٢٩٣-٢٩٦)
٢) (في ٣: ٢٥١-٢٨٩)

السليمة من وجود حقيقي ثابت سوى ما وقع عليه البصر او جسّتهُ الجوارح ومن ثمّ ترى ما يؤول اليه العناد بمن يأبى غير فلسفته الشخصيَّة ميزاناً للحقائق

واما اراء العقليين فقد سبقهم اليها في اوائل الكنيسة اعداء الثالوث كآريوس وتلاميذه وفي القرون المتوسطة فلاسفة اليهود والعرب واخصهم ابن رشد (+ ١١٩٨) فقد كان مع تظاهره بالدين المحمدي ينبذ ظهريًّا كلَّ وحيٍ ايًّا كان

واليك بعض القضايا التي اخذها عنهُ المبتدعون او أيدوهـا بمبادئه فحرمها عام ١٢٧٦ م اسطفان تامپير (Tempier) اسقف باريز وهي :

« ليس للفيلسوف ان يعتقد بايمانه المرئي لانهُ لا يمكن البرهنة بالحجج العقلية

« على الفيلسوف ان ينكر مطلقاً حدوث العالم في الزمن لانهُ انما يستند الى اسباب طبيعية والى العقل واما المسيحي فيستطيع ان ينكر ازليَّة العالم لانهُ انما يستند الى آيات فائقة الطبيعة » (كأنَّ الحقيقة تناقض ذاتها بذاتها !)

« توجد خرافات واكاذيب في الشريعة المسيحية كما في سائر الديانات الخ »(١)

ولم يُحرَم العقليُّون اجدادًا حتى في مصافّ الكاثوليكيين منهم سكوت اريجينا (Scotus Erigena) في القرن الحادي عشر وابيلَرْدوس في الثاني عشر واموري دي شرتر (Amaury de Chartres) في اوائل الثالث عشر غير انَّ اضاليلهم قد انحصرت في افراد وما عشَّت الكنيسة ان حرَّمتها وصانت بنيها من سمّها. وقد مات كثيرون من هؤلاء المبتدعين في حجر الكنيسة خاضعين لها

وانما تفاقم الامر واستشرى الشرّ بعد ان قام في الجيل السادس عشر لوثيروس زعيم البروتستانت وقد مهَّد السبل للعقليين اذ حاول تقويض السلطة الكنسيَّة ونادى بحريَّة البحث الديني على ما نبيّنهُ لك الآن

٣ مَعدِن مبادئ العقليين في الاصلاح المزعوم

يقول الفرنسيس : قد يتماسُّ طرفـا النقيض (les deux extrêmes se touchent) وهو لعمري مثلٌ يصدق في الجماعات واطوار الافراد ولكنَّهُ ينطبق خصوصاً على النتائج المنطقية اذا ما نجمت عن مقدّمات فاسدة تجمع بينها كما تجمع

(١) Duplessis d'Argentré : Collectio judiciorum de novis erroribus, Paris, 1724, I, pp. 188.

الشجرة الواحدة اغصاناً مختلفة اصلها واحد . وقد قيل ايضاً : « ان تسلّم بالخلف المحال تستنتج ما تشاء من المقال » (posito absurdo sequitur quodlibet) . ومما يؤيد هذا القول تاريخ الاصلاح البروتستنتي وتأثيراته في الاضاليل التي نشأت عنه من بعده

خلع لوثير طاعة الكنيسة ومزّق شطراً من الاسفار المقدسة وفسّر ما احتفظ به منها طبقاً لآرائه المبتدعة ومع هذا لبث نصرانياً يعتقد بالثالوث والتجسّد والفداء بل بلغ بايمانه حدّ الغلوّ والشطط اذ جعلهُ وحدهُ رُكنَ الخلاص مع بقائه ميتاً لا تدنسهُ فضيحة الخطأة ولا تظاهره الصالحات

ولكن ما كادت يد المنون تمتال لوثير الّا وانشقّ عنه البعض من ذويه واخذوا يتأولون تعاليمهُ بنفس الحجج التي قاوم بها هو كنيسة الرب . فادّت بهم مجادلتهم الى رذل ذيّاك الايمان الذي اراد زعيم المذهب البروتستنتي تعزيزه اذ ذاك بالاعمال حتى تلاشى طرفا النقيض في نتائج الاصلاح فاقرّ البروتستنتي الارثذكسي بالوهية المسيح بينما ينكرها البروتستنتي العقلي ولا بدع فانما وَلدت الشقيقين العدوّين امٌ واحدة وهي حرّية البحث الديني (le libre examen)

وان سألت ما هي حرّية البحث الديني وما هو مؤدّاها اجبتك مُبينين لك اوّلاً ما ينقضها في الرأي الكاثوليكي

كان المسيحيون قبل لوثير يعتقدون أن للوحي معدنَين الكتاب العزيز والتقليد وأنّ الكنيسة فوّضها مُنشئها يسوع ان تُفسر وتحدّد للمؤمنين معنى كلام الله المثبّت في الاسفار الالهية . قال القديس منصور اللبريني من كتبة القرن الخامس (١ :

« لمّا كانت اقوال الكتاب الكريم سامية غامضة تتذرّع على الجميع ان يفهموا لها معنى واحداً بل ترى المزاعم في مؤدى منطوقها تضاربت وتناقضت حتى كادت توازي البشر عدداً . فقد اختلف في شرحها نوفاطيانوس عن سابليوس وهذا عن دوناتوس وهذا عن آريوس . . . فلا بدّ اذن لمن اراد ان يأمن العثار في وعورات الطريق ووعوثاتها ان ينحو في تأويل الانبياء والرسل نحو الكنيسة الكاثوليكية »

(١ اطلب Vincent de Lérins: *Commonitoire*, c.2

وهذا ما كان يصرّح به لوثير عينهُ في اول امره فما بقي من كتاباته الاولى رسالةٌ يقول فيها للحبر الاعظم:

« أحكمْ يا شئت ايها الاب الاقدس فاني راضخٌ لقضائك إنْ لي وإن عليّ ومُقرٌّ ان صوتك هو صوت المسيح فهو فيك ساند ومتكلم. واني اصرّح بان الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة هي معلمة العالم اجمع ولها عليه السيادة. وقطّ لم يخطر لي ببال ان اقدح فيها او اطعن بشيء على سلطة الكرسي الرسولي المقدّس او رئاسة سيدنا البابا ذي الرأي السديد (١) »

ولكن ما حكمَ الحبر الاعظم على لوثير الاوثرّ في جنانه ما لم يكن قط " ليخطر له ببال » فانقلب ظهراً لبطن واحتدم غيظاً على نائب المسيح وتحامل عليه حتى دعاه المسيح الدجال ورافعهُ الى المجمع المسكوني. لكنهُ ما لبث ان رفض ايضاً حتى سلطة المجامع المسكونيّة والتقليد الكاثوليكي لما رأى فيهما من المضادّة لاضاليله فما ابقى لايمانه وايمان تبّاعه سوى سندٍ واحد وهو الكتاب المقدّس كلٌّ يُؤوّله على ما حسن لديه دون ان يحفل بما حدّدتهُ الكنيسة المقدسة من معاني آياته او بما اجمع على تفسيره الآباء القديسون. قال زعيم الاصلاح الموهوم في كتابه « اسر بابل »:

« احزم واصرّح انهُ ما من حق لبابا ولا لاسقف ولا لاحد من الناس ان يُلزم المسيحي ولا بخطرق مقطع واحد من اللفظ دون رضاه واختياره وكل ما خرج عن الحكم هذا فهو جور واستبداد » (٢)

وقال ايضاً:

« اذا تيقّن المؤمن معنى ما تفوّهت في الكتاب المقدس غدا حكَماً حتى على الملائكة لأن حكمهُ اذ ذاك لم يعد منهُ بل من الله. » (٣)

ومن معترض يسأل لوثير قائلاً: أنّى للمؤمن جاهلاً كان او عالماً ان يفقه ويتحقق معنى كلّ ما جاء في الاسفار الالهية وهي في اكثر مواضعها عويصة غامضة وقد شهد بهذا الامر القديس بطرس عينهُ اذ قال عن كتابات زميله الرسول بولس (٢ بط ٣: ١٦). « انّ فيها اشياء صعبة الفهم يُحرّفها الذين لا علم عندهم ولا

---

١) ذكرها تانكراي (Tanqueray) في كتابه المذكور سابقاً ص ٢٤٦

٢) ذكره Vigouroux: Les Livres Saints et La Critique rationaliste, t. I, p. 414, note 2

٣) فيه ص ٤١٥

وسوخ كما يفعلون في سائر الكتابات لهلاك نفوسهم .» وان كذبت هذا النص زاعماً انهُ غير قانوني افتكذب ايضاً الاختبار والتاريخ وقد طالما افادك عن وعورة المسالك المؤدية الى استيعاب معاني الكتاب حتى تضاربت فيها آراء المفسرين الجهابذة من كل مذهب وشيعة . أوَ ليس هذا اصرح شاهد على ضرورة الوجود لسلطة يؤيدها ويعضدها الروح القدس فيكون اليها المرجع ولها القول الفصل في التفسير . ثمَّ كيف تُميَّز السفر المنزل من غيره واي شيء يدلُّك مثلاً ان الله اختار يوحنا وألهمهُ لرقم آيات انجيله وامسك بيده اذ صنفها ؟

وبالعكس على مَ تبني زعمك الباطل ان رسالة بطرس الثانية انما هي تاليف بشر محض ؟ نحن الكاثوليكيين ننظر اولاً الى كتب العهد الجديد نظراً بشرياً ضاربين صفحاً عن كونها مُلهمة الهيَّة فنعتبرها كتآليف بشريَّة تشهد بصدقها الادلة التاريخية فنتَّخذ ما تضمنتهُ من اقوال الرب يسوع واعمالهِ حجَّةً على صحة رسالتهِ الالهية ثمَّ على انشائهِ كنيسة معصومة اناط بها الحكم بامور الخلاص اجمالاً وبحقيقة تنزيل الاسفار الكريمة خصوصاً فنتسلَّم من يدها كتابات العهدين العتيق والجديد غير مُرتابين بل متيقنين انها تحوي الوحي الالهي لانَّا نعلم ان شهادة الكنيسة حقّ وانها سبب كافٍ كافل لنعتقد كلام الله ونقبلهُ . واما انت فمن اين لك ان تدري بتنزيل الكتب وقد رفضتَ سلطة الكنيسة وتقاليد الآباء . أفيكون الخالق خوَّلك حسًّا خصوصيًّا تميَّز بهِ النصوص الالهية من غيرها والكتب القانونية من المزيَّفة كما تميز بعينك الابيض من الاسود وبذوقك الحلو من المرّ ؟ ام كنت في قلب موسى وداود ويولس والانبياء والرسل اذ هبط عليهم الالهام العلوي ودفعهم الى تدوين آياتهم ؟

فيجيب لوثاروس : يكفي الكتاب ذاتهُ لذاته فهو من نفسه واضحٌ صريح لمن يتصفحهُ مُنتبهاً متروّياً فيفقه معناه بلا هادٍ ولا دليل « فانَّ المسيح يُعلّمنا داخل قلوبنا ويقوم فيها مقام الكاهن المُرشد .»(١)

وهاك بعض ما كتبهُ تفصيلاً في هذا المعنى صاحب الشيعة البروتستنتية :

« يسألونك كيف نتحقَّق كلام الله وكيف نميّز الحقّ من الباطل . فدَعْهم يقولون ما

---

(١) فيه ايضاً ص ٤١٥

يشوعون ولا ... هو الذي يقول لك : لا تستطيع ان تبني ايمانك على تعاليم البابوات ولا على تحديدات المجامع لانك لا تجد فيها راحة لضميرك بل عليك ان تحكم وتثبت بذاتك والا عرّضت بجهالتك ونصيبك من السعادة الابدية فانّ الله مستترٌ ولا بدّ في اعماق قلبك يحدّثك قائلاً : هذا هو كلامي (١) »

وقال ايضاً :

« يجب ان نتأكد حصولك على كلام الله تأكّدك لذات وجودك واشدّ . فانك تجد الا قاعدةً واحدة وهي قولُ الله . ولذلك حَبّ ان الناس كلّهم مع الملائكة والعالم باجمعه قرّروا امراً ما فان كنت لا تستطيع الجزم به من نفسك هلكتَ لا محالة لأنّهُ لا يجب ان تبني حُكمك على رأي البابا او غيره . ايّاً كان بل عليك ان تُمكّن ذاتك من القول : الله يقول كذا ولا يقول كذا . وهذا حقٌّ وذاك باطل والّا فمن المحال ان يقرّ لكَ قرار . . . »(٢)

فما تقدّم ترى ان حُرّية البحث الديني في عرف لوثاروس مرجعها الى قضيّتين : ١ً ان قاعدة الايمان واحدةٌ وهي الاسفار الالهيّة دون التقليد الكاثوليكي وتعاليم الكنيسة . ٢ً ليس للسلطة الكنسية ولا لغيرها ايّاً كانت ان ترشد المؤمن الى الاسفار المنزلة كما هي وما هي وما هو معناها فانّ هذا كلهُ يتوفّق اليه المسيحي بمعرفته الشخصيّة وبنور الهي يُذرّعهُ به الربّ

واما النتيجة الناشئة عن هذين المبدأين فبديهيّة لا تخفى على احد . فاذا كان الكتاب المقدس هو قاعدة الايمان الوحيدة وكان تفسيرهُ منوطاً بنظر الافراد ورأيهم فقد انفتح المجال واسعاً لاقبح الاضاليل واشنعها اذ يتسنّى والحالة هذه لكلّ واحد ان يقرأ الاسفار الشريفة ويفهم منها ما عنّ لهُ وطاب

ولَم يلبث لوثاروس ان اختبر بذاته عواقب مبدإه . فما مضى قليل من الزمن على مجاهرته بحرّية البحث الديني الّا واتّخذها قومٌ من ذويه حجّةً لمقاومة تعاليمه والانفصال عنهُ وانشاء بدعة جديدة وهم اصحاب العماد الثاني (Anabaptistes) وسُموا بهذا الاسم لانهم كانوا يعدّون عماد الاطفال فاسداً بحجّة انهُ لم يرد ذكره في الكتاب المقدس وما كانوا يكتفون باعادته بل بلغت بهم القحة الى حدّ التجديف عليه فكانوا يدعونهُ غسل الكلاب (balneum caninum) . ومن تُرّهاتهم انهم

---

١) في الصفحة ٤٢٢ ٢) في الصفحة ٤٣٠

كانوا يدّعون النبوة زاعمين ان كلًّا منهم توراة حيَّة اذ الروح القدس حالٌ فيه يخاطبهُ في فؤاده ويُلقي عليه وحيهُ بل كانوا يفضلون هذا الوحي الموهوم على نصوص الكتاب الكريم. حُكي عن توما مُنتزر (Th. Munzer) وهو من مُعيدي العماد المدّعين بالنبوَّة انهُ كان يوماً يخطب في الشعب شارحاً تعاليم شيعتهِ فولج الجمعَ رجلٌ من تبّاع لوثاروس وجعل يقاطعهُ الكلام مستشهداً بالآيات الكتابيَّة فاجابهُ منتزر متلاعباً بالجناس اللفظي: الكتاب هو بابل (Bibel Babel). فردَّ عليهِ اللوثيري قائلًا: ازاك تردل ادلَّة الكتاب فمن يكون لك هادياً في مسالكك. قال: الرب الاله يهديني وان ابى ان يفتقدني افتقادهُ لانبيائهِ جحدتُهُ وكفرتُ به.(١

فلا عجب بعد هذا اذا كان اصحاب العماد الثاني في مقدّمة الذين مهَّدوا بعد لوثاروس السبيل لمذهب العقليَّة

فمنهم هانس دنك (Hans Denk، ١٥٢٨) واساس تعليمهِ أنَّ كلام الله الحيَّ في القلوب يعني العقل الغريزيّ اعلى واشرف منزلةً من كلام الله المدوَّن في الاسفار المنزلة وعنده ان الكتاب المقدس وان كان ثمن الكنوز الَّا ان اليد التي خطَّتهُ بشرية والفم الذي فاه بهِ بشريّ والاذن التي تسمعهُ بشريَّة فلا ينبغي قبول ما جاء فيهِ ما لم يؤيده الاختبار (٢ وهو مذهب العقليَّة لا يختلف عنهُ بشيء.

ولدنك هذا من معيدي العماد اصحابٌ وتباع كاويس هتزر (Hetzer + ١٥٢٩) وداود جوريس (+ ١٥٥٧) وغيرهما عليهم مسحةٌ من العقليَّة فينكرون الاسرار اجمالًا ولا سيما الوهيَّة المسيح ويرفضون الوحي كلما ناقض اراءهم او يؤوّلونهُ طبقاً لها. على انهم لم يتوفقوا الى انشاء شيعة مستقلة تدوم وتتمرَّق فيها مبادئهم كما فعل ليليو وفوست سوشين (Lelio et Fauste Socin) اللذان دُعيت باسمهما بدعة السوشينيين وهم العقليّون المتوسّطون وعنهم يأتيك الكلام الآن

(لها بقية)

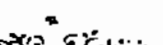

١) في الكتاب عينهِ ص ٤٤٧ ٢) فيهِ ص ٤٤٦–٤٥٠

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث : في الاعلام النصرانية (تابع)

٣ الاعلام النصرانية المحضة

هو الصنف الثالث من الاعلام النصرانيَّة التي شاعت بين عرب الجاهليَّة وهذه الاعلام يستدلّ من مجرَّد منطوقها انها لنصارى ليست لسواهم وها نحن نروي ما لقينا منها على ترتيب حروف المعجم :

(أبجَر) قد دُعي بعض نصارى العرب بهذا الاسم كأبجر بن جابر سيد بني عجل النصارى (الاغاني ١٠ : ٢٧) والعرب يشتقُّونهُ من « بَجرَ » اي عظم بطنُهُ . ولعلَّ الاصحّ اشتقاقهُ من السريانيَّة ومعناهُ فيها الاعرج وبهِ عُرف ملوك الرها الاباجرة

(أفريم) هو اسم نصراني يُشار بهِ الى ملفان السريان القديس افرام الكبير . وقد عُرف بهِ أفريم أسقف الحيرة الذي ذكرتهُ هنذ الكبرى في كتابتها التي اوردناها في الجزء الاول (ص ٩١)

(إيشوع) و (يَشوع) ورد في الاسم الاضافيّ عبد يشوع كما سترى . . وجاء مفرداً ايضاً لبعض اساقفة العراق كايشوع برَنون (كتاب المجدل الماري بن سليمان ص ٧٥)

(ايليا) هو اسم الياس الذي مرَّ ذكره ولعلَّهُ على هذه الصورة شاع بين النصارى خصوصاً . وممَّن تسمَّى بهِ ايليا اسقف نجران الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٨) وايليا الكشكراني (المجدل ٣٨)

(بولس) جاء في اعمال شهداء نجران انَّ ذا نوَّاس لمَّا دخل نجران غيلةً وقتل اهلها نبش قبر اسقفها « بولس » المتوفى قبل ذلك بسنتين فأحرق رمَّتهُ

(جرجس) شهيد النصرانيـة المعروف . وبهذا الاسم عُرف جرجس اسقف العرب الكاتب السرياني الشهير . وكان اسقفاً على بني طيّ في اواسط القرن السابع (Duval : *Littérature Syriaque*, p. 377)

(جُرَيج) وقيل (جريج) عُرف به جُرَيج الراهب (الطبري ١ : ٣٨٣ وسيرة الرسول ٤٠٧) وعبد الملك بن جريج وشَبَث بن قيس بن جريج (تاج العروس ٢ : ١٥) وورد جُرَيج بين اعلام اليمنيين (الاشتقاق لابن دريد ٣٢٩) . والاسم على رأينا شبيه بجرجس او مشتق منهُ (اطلب الملحقات بتاريخ الطبري .Add) (DLXXXIII وقد ورد عند العرب على صورة جُرَجه . قال في التاج ٢ : ١٥) : " بنو جُرَجه المكيُّون " ولعلّ بعض هذه الاسماء العربيَّة مشتقَّـة عن اسم القديس جرجنيوس رسول عرب اليمن واسقف الحيريين (راجع القسم الاوّل ص ٦١)

(رُومان) عُرف بهذا الاسم عند العرب بنو رُومان بطن من بني طي (ابن دريد في الاشتقاق ٢٢٨) و كان لنبي المسلمين مولى يُدعى رومان الرومي ذكرهُ في التاج (٨ : ٣٢٠) . وذكر معهُ صحابيًا يُدعى رومان بن نعجة من الصحابة . وامّ رومان بنت عويمر الكنانية هي والدة عائشة زوجة نبي الاسلام . وكذلك ذكر ابن سعد (ص ١٩) في كتاب الوفود يزيد بن رومان . ولا نشكّ في ان هـذا الاسم تعريب رومانوس احد مشاهير القديسين في حدود العرب . وقد جاء على لفظـهِ الاعجميّ في تاريخ الطبري (١ : ٢٢٠٢) حيث ذكر حروب المسلمين لنصارى الانبار فقال ان قضاعة كان عليها رئيساً « رومانوس بن وبَرَة » . وكذلك ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٧٩) ذكر « ابن رومانوس الكلبيّ » وقال هناك انهُ « كان اخا النعمان »

ـــ (سَرْجِس) اسم شهيد عظيم استشهد مع القديس بَكُس او باخوس على عهـد مكسيميانوس المتقصب في اوائل القرن الرابع . وقـد عرف العرب النصارى امرهُ وكان على اسمهِ عدَّة اديرة (راجع معجم البلدان ٢ : ٦٦٧ ومعجم ما استعجم للبكري ص ٣٧٤) . لا بل تسمّى باسمهِ بعض نصارى العرب . فقد ذكر الطبري (١ : ١٨١٢ راوياً كان في بدء الاسلام دعـاه موسى بن سَرْجس . وكذلك ذكر الزُبَير غلاماً باسم سَرْجس (١ : ٣١٨٥) . وقد روى عبد المسيح بن اسحاق الكندي في ردّهِ

على الهامش (طبعة لندن سنة ١٨٨٠ ص ٧٢) انَّ الذي تردَّد على محمَّد نبيّ الاسلام كان اسمهُ سرجيوس. ولقبهُ بُحيرا معناهُ العالم وهو الذي اشار اليهِ في القرآن في سورة النحل (عدد ١٠٥) حيث قال عن المكيين: «ولقد نَعْلم انهم يقولون انَّما يعلّمهُ بشرٌ». ولعلَّ اسم سرجون صورة أخرى من هذا العَلَم. وقد عُرف في دمشق يوم فتح العرب «سرجون بن منصور الروميّ» الذي دعاهُ الطبري (٢: ٢٠٥، ٢٢٨) «كاتب معاوية وصاحب امره»: وهو ابو القديس يوحنا الدمشقي الذي عُرف بابن سرجون او بمُسْتي بجدّهِ ابن منصور وعنده كان يغزل الاخطل (الاغاني ٧: ١٧٤). وقد ذكر في الاغاني (١٤: ٩٤ و ١٦: ٢٢) كنديم النعمان بن المنذر المسمى «سرجون بن نوفل»

(سمعان) و (شمعون) قلنا سابقاً (في المشرق ١٦: ٩٢٥) انهُ من المحتمل ان يكون ايضاً هذا الاسم نصرانياً محضاً وذلك امَّا اشارةً الى القديس سمعان بطرس ويقال شمعون الصفا هامة الرسل او الى سمعان العمودي الشهير بين العرب. وممَّن يضاف الى من ذكرنا سابقاً «اوس بن سمعان» الصحابيّ (اسد الغابة ٢: ١٤٦) وابو ريحانة شمعون بن يزيد الازدي (التاج ٥: ٤٠٣ وأُسد الغابة ٣: ٩). وشمعون اسم لاساقفة وحبساء اشتهروا قبل الاسلام في العراق وجهات العرب كشمعون استف الانبار في ايام الملك انو شروان (تاريخ ماري بن سليمان ز. ed. Gismondi) وشمعون اسقف الحيرة (فيهِ ص ٥٦) وشمعون بن صباعي الشهيد اسقف المدائن (ص ١٦)

(شمّاس) قد كثر هذا الاسم في الجاهلية وبهِ عُرف بطن من تميم «بنو شمّاس» ومنهم قيس بن شمّاس ذكرهُ في الحماسة وشمّاس بن عثمان بن الشريد الذي قُتل يوم أُحد (الاشتقاق لابن دريد ص ٦٤) وغيرهم ايضاً. والبعض يشتقُّون هذا الاسم من شِماس الفرس اي جموحهِ. ومن المحتمل ان اصل هذا الاسم من السريانية (ܫܡܫܐ ܫܡܫܐ) بمعنى خادم الدين. والله اعلم

(عبد المسيح) هو ادلُّ الاسماء العربيَّة على نصرانيَّة الذين تسمَّوا بهِ وعددهم بين العرب ليس بقليل واقدمهم عبد المسيح بن باقية بن جرهم سادس ملوك جرهم على مكة الذي ذكرناه في القسم الاوَّل من كتابنا (ص ١١٦). ومنهم عبد المسيح

ابن عَسَلة الذي رويتا شعرهُ في شعراء النصرانيَّة (ص ٢٥٦) نقلًا عن المفضليات. ومنهم عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغسَّاني كان سيد اهل الحيرة واحد المعمرين. قال ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين (ص ٣٨ : ed. Goldziher) انهُ « ادرك الاسلام فلم يسلم وكان منزلهُ في الحيرة وكان شريفاً في الجاهليَّة ». وذكر له ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٧٧) ديرًا بناهُ عُرف باسمهِ كان بظاهر الحيرة وفيهِ وُجد قبره وكان عليهِ مكتوباً :

حَلَبْتُ الدهر أشطُرَهُ حياتي وعشتُ من المُنَى فوق المَزيد
فكافحتُ الامور وكافحتني فلم اخضع لمُضِلة كَوْرِدِ
وكدتُ انالُ في الشرفِ العُلَيا ولكن لا سبيلَ الى الخُلودِ

ولعبد المسيح هذا شعر رُوي في كتب الادب سنجمعهُ ان شاء الله. وممَّن دُعوا باسم عبد المسيح الشاعرُ الجاهلي الشهير بالمتلمس واسمهُ عبد المسيح بن جرير (راجع شعراء النصرانيَّة ص ٣٣٠). ومنهم عبد المسيح بن الدَّيان من سادة نجران قال الاعشى يمدحهُ وآلهُ (شعراء النصرانيَّة ٣٨٢) :

وكَعْبَةَ نجرانَ حتَّ عليكِ حتى تُناخَيْ بأبوابها
تزور يزيدًا وعبدَ المسيح وقيسًا وهم خيرُ أربابها

وذكر ياقوت (٤ : ٧٥٦) بين سادة نجران عبد المسيح بن دارس بن عديّ بن معقل وقال هناك انَّ كعبة نجران كانت لهُ وهي قبَّة من أدَم وثلثمائة جلد يؤمَّن فيها الخائف ويُرفَد المسترفد وتُقضى حاجة كل طالب (قال) وكانت على نهر بنجران. ومن وفود نجران على نبي المسلمين احد اساقفتهم يُدعى العاقب قال ابن سعد في كتاب الوفود (ص ٧٦) انهُ كان من كندة وان اسمهُ عبد المسيح. ومنهم ايضاً « عبد المسيح بن المُذهَّب » الذي روى لهُ البحتري شعرًا في حماسته (اطلب الصفحة ١٩٦ من طبعتنا). هذا فضلًا عن اساقفة بهذا الاسم تولَّوا رعية كنائس العراق ورد ذكرهم في تواريخ النصرانيَّة وكان بينهم رجال من اصل عربي

(عبد يسوع) ذكر صاحب التاج (٢ : ١١٢) هذا الاسم لاحد عرب الحيرة المعروفين بالعباد. واشهر منهُ (عبديشوع) او (عبد ايشوع) على اللفظ السرياني.

وبه عُرف في جهات العراق قبل الاسلام عدة اساقفة ورهبان كعبد ايشوع الحبيس ذكره ابن ماري في المجدل (ص ٢١) وعبد ايشوع الميشاني صاحب العمر (ص ٢٨) وعبد يشوع القناني رسول العرب (فيه)

(عديّ) هو اسم شاع في الجاهليَّة وتسمى به كثير من نصارى العرب كعدي ابن زيد الشاعر النصراني الشهير (شعراء النصرانيَّة ص ٤٣٩) وعدي بن حنظلة (تاريخ الطبري ١٠١٦:٢) وعدي بن اوس ابن مارينا (فيه ايضاً ١٠١٨:١) وعديّ بن حاتم الطائي (١٧٠٦:١ — ١٧١٠). وعلى ظننا ان هذا الاسم اعجمي اصلهُ ادّي او عدّي كان احد تلامذة المسيح ومبشراً لابجار بين الكلدان والعرب وقد افاض المؤرخون في ذكره

(عيسى) هو اسم السيد المسيح في القرآن. ومن العجب العجاب اننا لم نجد ذكراً لهذا الاسم بين اعلام العرب في الجاهليَّة. ولعلّ رسول الاسلام اخذه على هذه الصورة من يهود يثرب الذين رووهُ كذلك بغضاً بالنصارى واشارةً الى عيسو

(فراسية) ورد هذا العلَم في مروج الذهب للمسعودي (ed, Barbier de Meynard,III, 200) فقال هناك انّ النذر بن امرئ القيس ملك الحيرة كانت أمهُ «الفراسيَّة» بنت مالك بن النذر من آل نصر». وهذا الاسم نصراني بَحْت كما نبَّه اليهِ الطابع (ص ٤٥٠) وهو تصحيف «اوفراسية» (Euphrasie) اسم عدَّة شهيدات نصرانيَّات

(فيليبُس) اسم احد رسل السيد المسيح. وهو اسم فيليبُس العربي اوَّل القياصرة المتنصّرين (راجع القسم الاوَّل ص ٣٢)

(فيمون) هو اسم الراهب السائح الذي دخل نجران ونصَّرها كما رويناه في القسم الاوَّل (ص٥٩ — ٦٠) والاسم اعجميّ لا محالة لعلَّهُ معرَّب من اليونانيَّة Εὔφημος اي البليغ والحسن النطق

(قسّ) اسم معرَّب من السريانيَّة وهو فيها قَشّيشا اي الشيخ يدلُّ خصوصاً على الكاهن النصراني وبهِ دُعي خطيب العرب اسقف نجران «قسّ بن ساعدة الايادي» (اطلب شعراء النصرانيَّة ص ٢١١). ومن إياد ايضاً كان المسمَّى الحُسَّ

ابن حابس ابو هند بنت الحس الايادية » (التاج ٤ : ١٣٧) الشهيرة بفصاحتها . وعلى ظننا انَّ « الحُسّ » هنا كالقُسّ

(ماري) هو اسم التلميذ الذي دعا الى الايمان بالمسيح في جهات العراق وانشأ على ما يقال كرسي المدائن . وبهذا الاسم عُرف قبل الاسلام ماري الفارسي استقف بيت اردشير (اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ج ٣ ص ١٧١)

(مارية) هو اسم مريم على لفظه اليوناني واختصَّت به نساء النصارى على هذه الصورة مشيرات به الى العذراء الطاهرة . منهنَّ « مارية بنت الحارث » الكندية قرينة المنذر ملك الحيرة ووالدة ابنه الاسود (الاغاني ٢ : ٣٢) . ومنهن مارية بنت الارقم بن ثعلبة من ملوك بني جفنة الغسانيين (التاج ١٠ : ٣٤١) وابنها الحارث الاعرج الذي فيه قال حسّان :

اولادُ جَفْنَةَ حولَ قبر ابيهم قبرَ ابنِ مارية الكريم المُفضل

ومنهنَّ مارية بنت ظالم بن وهب اخت هند الهنود امرأة حجر الكندي وامّ عمرو بن الحارث صاحبة القُرْطَيْن اللذين بجنسهما يُضرَب المثل « خذهُ ولو بقُرْطَي مارية » (امثال الميداني ١ : ٢٠٤) . ومنهنَّ « مارية ابنة حنظلة » امّ جابر بن ابجر سيّد بني عجل النصارى (الطبري ١ : ١٠٣٣) . و « مارية بنت الصبّاح الشيبانية » من بني هند (الاغاني ٦ : ١٧٨—١٧٩) وابنها قيس بن شراحيل الذي فيه قال الحارث بن حلّزة يشير الى الصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس :

فلذا سعيتَ اصلح الصديقِ كصلحِ ابن مارية الأقصم

ومنهنَّ « مارية أمة هند ابنة النعمان » (الاغاني ٢ : ٣٢) . ومنهنَّ ايضاً « مارية القبطية » ابنة شمعون التي اهداها صاحب مصر المقوقس الى نبيّ المسلمين فولدت لهُ ابنهُ ابراهيم (تهذيب الاسماء للنووي ص ٨٥٣) وذكر ابن عبد البرّ النمري القرطبي في كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب (ج ٢ ص ٧٨٣) أمّتين لمحمّد اسمها « مارية »

(مَرْقُس) هو اسم احد الانجيليين وتلميذ بطرس زعيم الرسل . وبهِ عُرف احد شعراء الحماسة (حماسة ابي تمّام ص ٢٩٧ ed. Freytag) وقد ضُبط هناك بفتح القاف مَرْقَس . (قال) واسمهُ عبد الرحمان المعني احد بني معن بن عَتُود

(مَرْيم) هذه صورة اخرى لاسم مريم العذراء وفيه اشارة ايضاً الى مريم اخت موسى . وممَّن تسمَّى بمريم بين العرب مريم ابنة عثمان من زوجته نائلة ابنة الفرافصة النصرانيَّة (الطبري ١ : ٣٠٥٩) ولهُ ابنة اخرى بهذا الاسم من امّ عمرو (فيما) . كذلك ذكروا « مريم ابنة اياس الانصاريَّة » (الاستيعاب ٢ : ٧٨٢) . وقد تكنَّى بابي مريم عدَّة من العرب منهم احد بني حنيفة « ابو مريم الذي قتل زيد بن الخطَّاب » (الاشتقاق ٢٠٩) و « ابو مريم البَلَوي » (تاريخ الطبريّ ١ : ٢٣٨٥) وقد ورد الاسم على صورة مريام كابي مريام الاسقف (الطبري ١ : ٢٥٨٤ — ٢٥٨٥)

(مَرينة) او (مَرينا) اسم نصراني لاحدى الصاحبات . وكان في الحيرة « قوم من اهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون الى لخم وكانوا اشرافاً » (الاغاني ٢ : ١٢) وقد عدَّهم في محلّ آخر (٨ : ٦٤) من « العباديين »

(ميكَال) هو اسم ميخائيل الملاك الذي مرَّ . وقد ورد في تاج العروس (٩ : ١١٩) اسم جدّ البيت الميكالي بنيسابور فدعاهُ « ميكال بن عبد الواحد » ورقّى نسبهُ الى ملوك الفرس

(هِرْمز) او (هرمزد) احد شهداء النصرانيَّة في العراق . وبهِ تسمَّى بعض نصارى العرب كهرمز اسقف مدينة عمَّان الذي حضر المجمع الخلقيدوني واثبت اعمالهُ باهضانهِ

(هُود) احد الانبياء على ما يقال أُرسل الى العرب . ومن المحتمل انَّهُ اسم نصراني وانَّهُ صُحِّف عن يَهُوذا احد رسل السيد المسيح الذي يذكرهُ القدماء كداعي العرب الى النصرانيَّة . ولعلّ اسم « هَوْذة » صورة اخرى لهذا الاسم عُرف بهِ هَوْذة بن عليّ ذو التاج احد بني حنيفة النصارى الذي ذكرناهُ سابقاً

(الهَيْجُانة) كذا دعاها المسعودي في مروج الذهب (٣ : ١٩٩ و ٢٥١) وسمَّاها الطبري (١ : ٨٨٢) الحَيْجُانة وهي امّ ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس وقال الطبريّ انَّها كانت ابنة عمرو بن ابي ربيعة بن ذُهل . واسمها اعجميّ يوافق اليونانيَّة H'γουμένη ومعناها الرئيسة والسيّدة

(يحنَّه) اسم نصراني شهير . وقد اشتهر بهِ ملك أيلة « يحنَّه بن رؤبة » الذي كتب اليهِ رسول الاسلام يدعوهُ الى طاعتهِ (راجع كتاب الوفود لابن سعد ٢٧ :

ed. Wellhausen, ١٧) وكتبهُ الطبريّ (١ : ٢٣٧٤) « يوحنَّة بن روبة ». وورد في التاج (٩ : ١٨٥) اسم « حنَّة » كوالد عمرو الصحابي وهي صورة اخرى للإسم ذاتهِ

(يونس) مرَّ بك انهُ تعريب اسم يونان النبيّ . ولا نشكّ في انَّهُ اسم يوحنَّا على لفظهِ اليوناني فشأنهُ ان يحرّك يُونَّس . Ἰωάννης لا سيما اذا كان المتسمّون بهِ من النصارى وتجد في تاريخ نصارى العراق ممَّن دُعوا بهذا الاسم وهم يكتبونهُ يُوانيس (راجع تاريخ ماري بن سليمان ص ٧٦ و٨٣ و٩٩) وقد ذكر ياقوت (٢ : ٧١٠) بين اديار مصر « دير يُحَنِّس » وهو اقرب الى الاصل (لهُ بقيَّة)

الولادة في الحيوان

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمَّة)

انَّ ما سبق لنا قولهُ عن إعداد الفراشة لغذاء صغارها عند خروجهم من البيضة ليس هو خاصًّا بها بل هو شائع في كافَّة الهوامّ سواء كانت ذات جناحين كالذباب او ذات اربعة اجنحة غشائيَّة كالنحل او ذات اجنحة غمديَّة . فانَّ لكلٍّ منها غريزتها النوعيَّة التي تحدو بها الى ان تكفل لنسلها قوتهُ عند مولدهِ . وهذه امثلةٌ تؤيد قولنا نستعيرها من كتاب مرَّ لنا ذكرهُ وسوف نشير اليهِ فيما يأتي Fabre : *Souvenirs Entomologiques*

واوَّل ما يعنُّ لنا منها حشرةٌ تُدعى الصرصر صيَّاد البوپراسة Cerceris) (Bupresticide لأنَّهُ يقاتل هذا الزيز الذي وصفهُ المشرق ونشر صور اشكالهِ (١٦ : ١٦) ويدَّخر لحمهُ لصغارهِ كما رأيت من فعل البيلوپيوس بالعنكبوت

ولصرصرنا هذا اربعة اجنحة كالزنبور وهو صغير الجسم يحفر الارض الى عمق قدَم ليتَّخذ هنـاك وكرًا لذرِّيتهِ ولهذا الوكر سربٌ يفضي الى خمس خلايا تكفي الواحدة لثلث او اربع هوامّ من البوپراست . وقد رأيت ان البيلوپيوس يُحسن البناء. امَّا هذا الصرصر فحفَّار ماهر اذ لكلّ حيوان صنعتهُ الفطرية

ed. Wellhausen, ١٧) وكتبهُ الطبريّ (١ : ٢٣٧٤) « يوحنَّة بن روبة ». وورد في التاج (٩ : ١٨٥) اسم « حنَّة » كوالد عمرو الصحابي وهي صورة اخرى للإسم ذاتهِ

(يونس) مرَّ بك انهُ تعريب اسم يونان النبيّ . ولا نشكّ في انَّهُ اسم يوحنَّا على لفظهِ اليوناني فشأنهُ ان يحرّك يُونَّس . Ἰωάννης لا سيما اذا كان المتسمّون بهِ من النصارى وتجد في تاريخ نصارى العراق ممَّن دُعوا بهذا الاسم وهم يكتبونهُ يُوانيس (راجع تاريخ ماري بن سليمان ص ٧٦ و٨٣ و٩٩) وقد ذكر ياقوت (٢ : ٧١٠) بين اديار مصر « دير يُحَنِّس » وهو اقرب الى الاصل (لهُ بقيَّة)

الولادة في الحيوان

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمَّة)

انَّ ما سبق لنا قولهُ عن إعداد الفراشة لغذاء صغارها عند خروجهم من البيضة ليس هو خاصًّا بها بل هو شائع في كافَّة الهوامّ سواء كانت ذات جناحين كالذباب او ذات اربعة اجنحة غشائيَّة كالنحل او ذات اجنحة غمديَّة . فانَّ لكلٍّ منها غريزتها النوعيَّة التي تحدو بها الى ان تكفل لنسلها قوتهُ عند مولدهِ . وهذه امثلةٌ تؤيد قولنا نستعيرها من كتاب مرَّ لنا ذكرهُ وسوف نشير اليهِ فيما يأتي Fabre : *Souvenirs Entomologiques*

واوَّل ما يعنُّ لنا منها حشرةٌ تُدعى الصرصر صيَّاد البوپراسة Cerceris) (Bupresticide لأنَّهُ يقاتل هذا الزيز الذي وصفهُ المشرق ونشر صور اشكالهِ (١٦ : ١٦) ويدَّخر لحمهُ لصغارهِ كما رأيت من فعل البيلوپيوس بالعنكبوت

ولصرصرنا هذا اربعة اجنحة كالزنبور وهو صغير الجسم يحفر الارض الى عمق قدَم ليتَّخذ هنـاك وكرًا لذرِّيتهِ ولهذا الوكر سربٌ يفضي الى خمس خلايا تكفي الواحدة لثلث او اربع هوامّ من البوپراست . وقد رأيت ان البيلوپيوس يُحسن البناء. امَّا هذا الصرصر فحفَّار ماهر اذ لكلّ حيوان صنعتهُ الفطرية

وليت شعري ما لهذا الصرصر يُقدم على هذا الفعل المستشنع فيناجز القتال هامةً سليمة الطباع أفهو محتاج الى لحم زملائهِ ليغتذي بهِ ؟ كلَّا فانهُ يتعيَّش بامتصاص عسل الزهور كالپيلوپيوس والفراش . او هل يمكنهُ ان يختبر طباع صغارهِ ونهمهم الى اللحم ؟ كلَّا لأنهُ لا يكاد يضع بيضهُ حتى يموت بعد أيام قليلة اما صغارهُ فانها تبقى في فيلجتها زمناً طويلاً الى ان تخرج من حبسها في اوان الربيع . فكيف اذن علم بان هؤلاء الصغار عند تقمُّص الفيلجة يحتاجون الى اللحم ولحم هامة البوپراست دون غيرها ؟ او كيف لم يغلط الصرصر في صيدهِ ولم يتقنص غير البوپراست . والبوپراست فصيلة كثيرة الانواع المختلفة بالصورة والهيئة واللون لكنَّ الصرصر يميِّزها دائماً عن سواها ولا يصطاد غير افرادها من اي نوع كانوا . ومنها ما هو اكبر منهُ جرماً واذا اصطادها فعل كالپيلوپيوس فانهُ ينفذ في جسمها لعاباً مخدِّرًا بحيث لا تموت ولا تستطيع اذىً ريثما تأكلها صغار الصرصر طعاماً هنيئاً مريئاً وهي لو كانت في صحتها دون تخدير لافترست كلَّ اولئك الحشرات باسهل طريقة

وهذه الصراصر المذكورة تختلف ايضاً بانواعها . فمنها ما يسطو على السوس اي الدويبة الصغيرة التي يمدُّها ارباب الفلاحة كآفة لاعرائهم وهي في طول بضعة ملمترات رأسها يمتدُّ على شكل خرطوم ناعم . وهذه الدويبات ايضاً انواع لا تكاد تُحصى تتباين صورةً ولوناً وحجماً . ولأنَّ الطبيعة جعلتها رزقاً لنسل الصراصر المارِّ ذكرها هبَّت هذه الصراصر وأصلتها حرباً عواناً وافرزتها من سواها وجمعت منها في يومين عدداً وافرًا من كلِّ نوع دون ان تحيد عن فصيلة السوس . فمن اين يا تُرى لهذه الهامة تلك الغريزة التي توقفها على اشكال غنيستها بتلك السرعة ولو بحث الانسان المغرم بجمع اصناف الدويبات على هذه الانواع لمَا وجد منها الَّا شكلين او ثلثة اشكال فقط في تلك المدَّة

*

انظر الآن الى حشرة أخرى طيَّارة ذات اربعة اجنحة غشائيَّة (hyménoptère) يدعونها اسقولية (Scolie) تشبه في صورتها زنبوراً كبيراً لولا انَّ ارباب علم الهوامّ يجدون بينها وبين الزنبور اختلافاً كبيراً سواء كان في تركيبها او في اخلاقها منها انَّ الزنبور اذا شاء ابتناء وكرهِ بناهُ تحت التراب او في تجاويف الجدران وجعل لهُ

خلايا من الرقوق العسلية وغذا نسلهُ بطعام يومي وهو يعيش عدة اشهر . اما الاسقولية فانها اذا تحولت من شكل الدودة الى شكل الهامة الطائرة لا تعيش الا أياماً واذا اجتمعت بذكرها عادت الى اعماق الارض وذلك يصعب على جامعي الهوام الحصول عليها

والانثى بعد سفادها تسرع الى حفر سرب في الارض بقوائمها واذا نفذت في السرب سدَّت من ورائها بابهُ . وان سألت عما تصنع هناك أهي تُعدّ عشاً لفراخها ؟ اجبناك كلا وانما تحفر الارض كالخلد (Taupe) طلباً للرزق لا لنفسها لانها لا تأكل وتطوي صائمةً بل اصغارها اذا وُلدوا . واي رزق عساها ان تجدهُ في اعماق الارض ؟ انَّ هناك دوداً يوافق ذريتها يعيش في وسط المواد الآلية البالية وهو دود دويبة يدعونها بشوان (Cétoine) من الزيزان الصدفية الاجنحة ذات الالوان اللطيفة الزرقاء والذهبية التي يحبّ صيدها الاحداث فيربطونها بخيط ويطيرونها . فدود هذا الزيز هو الطعام الذي تبحث عنهُ دويبة الاسقولية ولا تريد غيرهُ وهي تُرشد اليهِ من طبعها فتصيبهُ لا محالة . واذا ألفت دودةً منهُ نفذت فيها لعابها المخدّر واركزت فوقها بيضةً من بيضها ثمَّ تعمد الى دودة أخرى فتعمل كذلك وهكذا تستغني عن الاوكار لنفسها ولصغارها اما البيضة المودعة على الدودة المخدّرة فتفقس في وقتها بقوة حرارة التربة ورطوبتها فيخرج منها دودة صغيرة تجد قوتها مهيأً اعدَّتهُ لها امها قبل موتها بعنايتها بل قل بعناية الخالق سبحانهُ وتعالى

لكنَّ هناك مشكلاً كبيراً . هذه الدودة المولودة حديثاً تحتاج الى قوتها لمدة طويلة وهي عاجزة عن تحصيلهِ بنفسها . تقول انَّ أمامها الدودة المخدَّرة الطريحة اللحم . ولكن ان أكلت بعض اجهزتها الحيوية ماتت فريستها وفسدت ولا تعود تصلح للغذاء . فاذا تصنع الدودة تموت جوعاً لا محالة او تتسمَّم بأكل اللحم الفاسد . فانظر رعاك الله كيف تحلّ هذا المشكل العويص فانها بقوة غريزتها تختار من الدودة المخدَّرة اطرافها السمينة التي تمتصُّها دون ان تُلحق بها الموت واذا انتهت منها عمدت الى الاعضاء الباطنة دون أن تمسّ الأعصاب التي هي اجهزة الحياة فلا تقرضها الا في الاخير وهكذا يبقى لها الغذاء طيباً طريّاً الى ان تنمو اجنحتها

فالمسيو فابر مؤلف الكتاب الذي ذكرنا عنوانهُ يستنتج من مثل هذه الهامة اي

الاسقولية ومن امثال اخرى عديدة لغيرها من الهوامّ انّ تلك الحشرات لا تعرف فقط بغريزتها الفطريّة ما يصلح لصغارها عند مولدهم من الطعام الموافق لهم ولكن اولئك الصغار خُصّوا بتلك الميزة الغريبة أن ينظّموا طعامهم تنظيماً مذهلاً يكفيهم لطول مدّة قصورهم عن الطيران دون ان يَفسد او ينتن

فنسأل هنا اصحاب مذهب النشوء: من اين لهذه الحشرات هذا العلم العجيب ؟ فان قالوا انّها نالته بالوراثة - سألناهم وكيف الانسان وهو على زعمهم وريث كل الحيوانات السفلى التي هو مولود منها بالترقي لم يحصل على هذه المعرفة ؟ ومن منّا يجهل انّ ابن البنّاء والحيّاك والحدّاد والعالم لا يرث بمجرّد ولادته من ابويه صناعة البناء والحياكة والحدادة او اي علم كان وانّه يحتاج لاتقان هذه المعارف الى ممارسة طويلة ؟ فالوراثة اذن لا تفيدنا علماً لحلّ هذا المشكل

وان قيل انّ هذه المواليد الحيوانيّة امكنها ان تتعلّم من غيرها بنظرها الى احد ابناء جنسها او بالعادة. كان الجواب - هلّا . وهو انّ هذه الحشرات تعيش غالباً منفردةً في جوف الارض لا رفيق لها يفيدها بمثله . امّا العادة فلا تتمّ الّا بالتوالي وبتكرار العمل يوماً بعد آخر وذلك ممّا يخالف حالة تلك الحشرات التي تجدها كلّها في ساعة مولدها حاصلة على تمام المعرفة . فانّ دودة الاسقولية التي سبق ذكرها لو اقتضى لها ان تتفقه احوال غنيتها بالاختبار والعادة لقتلتها ألف مرّة قبل أن تعلم انّ فيها اقساماً حيويّة لا يجوز مسّها لئلا تموت فيفسد لحمها . ثمّ يجب على هذه الدودة أن تفكّر في امور عديدة وتقابل بينها وتستنتج منها النتائج العمليّة لتتمون بها حالها ولا تاتي بنفسها في التهلكة ان باشرت بأكل الاعضاء الاصليّة فيفسد غذاؤها وتتسمّم هي به اذ ليس لها طعام غيرها . وما يقال عن هذه الدودة يقال عن كل المواليد من جنسها فانّها كلّها خُصّت بالعلم ذاته والحذاقة ذاتها دون اختلاف البتّة

وعليه يمكننا ان نختم هذه الملحوظات بكلام المسيو قابر فنقول: « انّ الهامّة الاولى من اي صنف كان من الهوامّ لو حاولت ان تغذي صغارها بدودة السيتوان او دودة حشرة اخرى يقتضي حفظها مدّةً طويلة ما كانت لتلد صغارها قبل ان تعرف المعرفة التامّة كيف يُحفظ الطعام دون ان يَفسد . لأنّ تلك الهامّة ما امكنها ان تحرز هذا العلم لا بالعادة ولا بالوراثة كما يزعم اصحاب مذهب النشوء اذ هي

كما افترضنا الهامّة الاولى من جنسها. ولا بُدَّ من القول انَّ الدودة الناشئة (دون علم سابق ولا عادة سابقة) كانت لا محالة سطت على طعامها فأكلت منهُ ما حضر دون تمييز وبذلك افسدت طعامها واتلفت نفسها (١).

وهذه الحشرات الثلث التي اتسعنا في تعريف غرائزها ليست هي الوحيدة التي تهيّئ لفراخها طعامهم بتخدير ضحاياها ليتسنَّى الصغار بأكلها دون عناء. ولا ضرر فانَّ مثلها كثير ايضاً من الهوامّ التي لا تصطاد غالباً الَّا نوعاً واحداً من الدوّيبات. فان الخنس المعروف بسفاكس (Sphex) الكثير الاشكال يحفر لهُ في الارض وكرًا دافئاً ويجعلُ فيهِ بعض الخلايا التي يكبس فيها المؤونة. ومؤونة هذه هي مطلقاً من الهوامّ ذوات الاجنحة المتساوية (orthoptères) فمنها ما يصطاد الزيزان وغيرها الجراد او الجنادب (Ephippigère). واغرب من ذلك انَّ بعضها لا يطارد غير اناث الجنادب دون الذكور كأنهُ يعلم انَّ الاناث المسمّنة بيضها ادسم قوتاً واشهى غذاء.

ومن الهوامّ صنفٌ آخر يُدعى أومان (Eumène) يملأُ وكرهُ من ديدان صغيرة لا يبلغ طولها سنتمترًا واحدًا. ومثلهُ الصنف المدعوّ أوديناز (Odynère). على خلاف الصنف المعروف بأمّوفيل (Ammophile) فانهُ على شبه الاسقولية التي وصفناها سابقاً يكتفي بدودةٍ واحدة كبيرة وهو لا يختار سوى دودة الصرصور (Hanneton) المعروفة بالدودة البيضاء او الرمداء التي يعدُّها الفلّاحون آفةً للبساتين نقرضها اصول القول. وبذلك يخدم البستانيين خدمةً يستحقُّ عليها شكرهم. ومن الأمّوفيل نوع لا يطارد الَّا دود فراش الليل دون فراش النهار

وكذلك الهامّة المعروفة بتاخيت (Tachyte) فانها تتَّخذ لصغارها طعاماً الدوّيبة المعروفة بجمل اليهود. وقس عليهِ بقيَّة الحشرات

ومن الهوامّ ما يصطنع من الطين شبه الفناجين الصغيرة يطلونها بملاط يمنع رشحها فيملأونها عسلًا ويجعلون فيها بيضة ثمَّ يسدُّون الفنجان. هكذا تفعل الهوام المعروفة بخاليكودوم (Chalicodome) والأنثوفور (Anthophore) وغيرهما.

---

(١) راجع Fabre: *Souvenirs Entomologiques*, 3e *Série*, p. 35

ومنها ما يغذي صغاره بعسل يجنيه كل يوم كما تفعل النحلة الاهليَّة. اما البَنبكس (Bembex) فانهُ يصطاد كل يوم ذبابةً فيطعمها صغارهُ دون ان يخدّرها

واعجب من ذلك الهامّة المطاردة للنحل (Philanthus apivore) فانها ترصد جثث النحل الميّتة فاذا وجدت منها واحدةً امتصَّت لنفسها ما خزنتهُ النحلة من العسل في حوصلتها ثمَّ نقلت الجثَّة الى صغارها لتأكلهُ . ولا تَقُل انَّ هذه الامّ تفضّل نفسها على صغارها بأكلها العسل كلَّا فانها تعلم انَّ العسل سمٌّ ذعاف لفسائلها فتحذر من ان تطعمها منهُ . وان سألت وكيف عرفتَ ذلك ؟ اجابك العلّامة المسيو فابر انهُ اختبر الامر بنفسهِ فانهُ جمع صغار الهامّة المذكورة فقسمها قسمين غذا قسماً بجثث نحل غير مصفّاة من عسلها وقسماً بنحل مفرّغة من عسلها فمات القسم الاوّل بخلاف الثاني الذي نما حتى بلغ اشدَّهُ

وقد قرأنا في بعض اعداد مجلّة كُسموس العلمية (Cosmos, 19, X^bre, 1912) انَّ في جزيرتَي موريس وبوربون نوعاً من الزنابير يدعى كلوريون (Chlorion) يغذي صغارهُ بالجعلان المخدَّرة . فيا ليت احداً يجلب الى هذه البلاد تلك الهامّة لتنظّف بيوتنا من الجعلان الوسخة

ويوجد من الحشرات صنفٌ يعرف بالبَقَريّ (Bousiers) لانهُ يطمر البعر في الارض ويجعلهُ مبيتاً لبيضهِ ليتقوَّت منهُ عند مولدهِ

ومن الحشرات ما لا يهيّئ طعاماً للصغار وانما تبيض الانثى بيضها في اماكن حيث يسهل على فراخها اذا تفتَّحت وجود طعامها

أتعرف يا رعاك الله من اين يأتي الدود الذي نجدهُ في ضروب ثمارنا كالتفّاح والجوز والخوخ وبقيَّة الفواكه ؟ انما وضعتها أمهاتها امّا في اكمام الزهور قبل ان تعقد واما على الثمرة بعد عقدها وربّما عمدت الانثى الى الثمرة الغضَّة فثقبت بوخزها جلدتها وانفذت بيضتها الى باطنها فيُولد الصغير هناك وماندته حاضرة . وتلك الذبدان اذا عاشت خرجت من حبسها على صورة فراش او ذباب او زيزان . على انَّ الامّ لم تجعل بيضها الّا في نوع الثمر الموافق لمولودها دون ان تغلط البتَّة فانَّ الانثى التي يأكل صغارها البلّوط لا تجعل بيضها في شجرة الكستنا او البندق والعكس بالعكس . كذلك دودة اللوبيا لا تجعلها الانثى في بقلة غيرها كالحمّص او العدس

دونك ما كتبهُ احد أصحاب الاعلانات الذي ادَّعى اكتشاف دواء ناجع لقتل دود التفاح والخوخ فانهُ دقَّق في وصف اصل هذا الدود قائلاً :

« انَّ دود الخوخ والتفاح يتحوَّل الى فراشة يبلغ طولها من ستَّة ملمترات الى ثمانية وذلك في اوان ازدهار الشجر فيحطُّ على الثمرة بعد عقدها حديثاً ويجعل في عينها بيضة من بيضهِ ثمَّ يستقري بقيَّة الثمر ويجعل لكل ثمرة بيضةً وقلَّما ترى دودتين في ثمرة واحدة . وهذه البيضة البالغة ١٢ ملمترًا طولاً تتفقَّص ثمانية ايَّام بعد وضعها فتنقلب دودةً ارفع من الخيط وهي تتندى ان تنفذ قليلاً قليلاً في وسط الثمرة حتَّى تبلغ نواتها فتقرض غلافها ثمَّ تخترقهُ مربًا مختلف الاعوجاج من مركز الثمرة الى دائرتها الخارجة فتفتح لها ثقباً صغيرًا تستنشق منهُ الهواء وتلقي بزبلها لكنها تسدُّ ذاك المنفذ عن البياض . وهي تبقى في الثمرة الى أن تكتمل ثمَّ تستوي فتسقط من الشجرة وحينئذٍ تخرج الدودة من مخرجها ثمَّ تختفي في الارض او في ثمرة من الشجر حيث تنسج لها قبلجة صلبة حريريَّة ترقد فيها طول الشتاء ثمَّ تخرج في الربيع من حسمها على صورة فراشة عمَّا وضعُ بيضها على الثمرة كما قلت انفاً ما »

فهذا مثال محسوس يشهد لعناية الخالق بالهوامّ ويحفظ صغارها وهو يعمّ كل اجناس الحشرات فترى دائماً الانثى مهتمَّةً بوضع بيضها حيث تجد مواليدُها قوتها . ولا تفكِّر الامّ فقط في طعام صغارها لكنَّها تستدرك ايضاً أذى الشتاء لتقي صغارها من كآبتهِ فتارةً تجعل البيضة في قشرة صلبة جدًّا وتارةً تجمع بيضها في محلّ واحد وتغطيهِ بمادَّة لزجة تجمد فوقها وتمنع نفوذ الماء اليها . وحيناً تولي بيضها قوَّة حيويَّة غريبة تمكنها من مقاساة البرد القارس مع كونها صغيرة الحجم لا تكاد تبصرها العين

اخبر في العام المنصرم احد المرسلين اليسوعيين في بلاد الاسكا شمالي كندا (Missions Catholiques, 3 Janv. 1913) انَّ بيض البعوضة هناك يصبر في الشتاء على برد يبلغ ٥٦ و٥٧ درجة تحت الصفر من المقياس المئوي . فاذا عاد فصل الصيف الذي لا يتجاوز في الاسكا شهرين او ثلاثة ويبتدئ الجليد ان يذوب بحرارة الشمس يتفقَّص ايضاً بيض البعوض فتخرج منهُ الالوف المؤلَّفة فتهجم على الانسان والحيوان ولا تدع لهما راحةً . فانَّ الانثى كانت ألقت بيضها في اوَّل الشتاء على الجليد الذائب او على الطين اللزج فاذا قرس البرد اندمج البيض في باطن الجليد وبقي سالماً مدَّة ثمانية الى عشرة اشهر دون ان تتلف جرثومة حياتهِ . فيا لله ما أشد قوَّتهُ الحيويَّة

وليس البيض فقط يُعاني مَرَّة الشتاء ولكن كثيرًا ما يصبر عليها صغار الحشرات ودودها بعد انفلاق البيض الى ان يتحوَّل في آخر الشتاء الى فراشة . وفي هذه الحالة لا بُدَّ للدودة ان تسعى لنفسها وتصون حالها من الضرر فترى حينًا الدودة تنسج لها فيلجة تبطّنها بالقطن او بالحرير او بدقائق النبات او تطليها بطلاء لزج كالشمع وذلك اما في الحلية التي اعدَّتها لها امُّها او في بعض تجاويف الحيطان او ثقوب الحجارة . وحينًا تتجنَّد الدودة وتعلق نفسها بخيط حريري على احد اغصان الشجر او فوق الصخور فتبقى دون حراك الى آخر الشتاء دون ان يميتها البرد والثلج والجليد الذي يشقّق الصخور دون ان يقوى على قتل تلك الحيوينات النحيفة : فيا العجب من عناية الخالق

وحينًا تكون الهامَّة بلغت نموَّها التامَّ فيباغتها الشتاء فتقضي ذلك الفصل اما في باطن الارض واما في جذر شجرة منتظرة فصل الربيع لوضع بيضها . مثالهُ الزنبور العاديّ الذي تصير اناثهُ بعد السفاد في الخريف الى ان يعود الربيع فتبتدئ بتهيئة اعشاشها

وهكذا الربّ الاله أعطى للحيوانات حتى اضعفها واتفهها الوسائط لحفظ نوعها فجعل لكل ضرب منها فطرةً واهنة ثابتة لا تخونها البتَّة بل تمكّنها ان تتلافى كل حاجاتها الحاضرة والمستقبلة . وصغارها على اختلاف اجناسها تلقى عند مولدها طعامًا مناسبًا اما بجانب الامّ واما بما تستحضرهُ لها من القوت . وذلك دون علم سابق ولا ملل . واذا كبر صغارها فماتوا لنسلهم كما فعل لهم اهلهم لأنَّ كل كيانهم مرجعهُ الى حفظ نفوسهم وحفظ مواليدهم

وهذا العلم الغريزيّ في الحيوان مهما اجتهد السوفسطائيّون ان يعلّلوهُ بتعليلات غريبة فينسبوهُ تارةً الى النشوْ وتارة الى الوراثة او الى الفاظ فارغة مثلها فانَّهم لا يأتون بشرحٍ متّضح وانما يستندون الى اسانيد لا دعامة لها واهنة باطلة ما لم يقولوا مثلنا انَّ الحكمة الالهيَّة وحدها قد نظَّمت هذا الكون وجعلت لكل مواليد الطبيعة نواميسها التي تجري عليها دون ان تحيد عنها ذرَّةً وتبلغ هكذا الغاية التي حدَّدها لها الخالق سبحانهُ وتباركَ اسمهُ الى الابد

الخلاصة الفلسفية

للقديس توما الاكويني

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

منذ باشر سيادة المطران الماروني العلّامة بولس عوّاد رئيس اساقفة قبرس حالاً بطبع « الخلاصة اللاهوتيّة للقديس توما الاكويني الاستاذ الملكي » معرّبةً بقلمه ادبهُ الله اضحى اسم ذاك النابغة شائعاً في بلادنا الشرقيّة بعد ان كان ذكرهُ منزوياً في دوائر طلبة اللاهوت ومعظمهم غالباً لا يستطيعون الاستقاء من مناهله الصافية لجهلهم اللغة اللاتينيّة

على انّ الخلاصة اللاهوتيّة ليست الّا قسماً فقط من تآليف الاكويني الضخمة التي لا ينظر الناظر الى مجموعها الّا يأخذهُ العجب من مضامينها ووفرة ابحاثها التي كادت تشمل كلّ المعارف البشريّة الشائعة في ذلك العهد . وتزيد حيرة المتبر اذا تذكّر انّ القديس توما مات في عزّ كهولته قبل ان يبلغ الخمسين من عمره (١٢٢٥—١٢٧٤) وقضى حياتهُ في التعليم وفي خدمة الكنيسة واحبارها الاجلاء متنقّلاً زمناً طويلاً في مدن فرنسة والمانية وايطالية تتنازعهُ الاشغال الشاغلة وتتجاذبهُ المهامّ الخطيرة . فكيف امكنهُ يا تُرى ان يتفرّغ لكلّ هذه المصنّفات في اغمض العلوم العقليّة وارفعها قدراً واسماها معنًى ؟ حقًّا اننا لا نجد جواباً على ذلك غير ما اكّدهُ هو لاحد اصدقائه انهُ كان مثابراً على الصلاة فينير الله عقلهُ بالمعارف السامية ومن اقوالهِ : « اني تعلّمت بالصلاة اكثر ممّا تعلّمت بالدرس » وشهد بعض رفقتهِ عليهِ قائلاً انهُ كان في درسهِ كالصلّي ولم يكن يكتب ولا يقرأ ولا يجادل الّا بعد الصلاة . ولا غرو فانّ نور الله كشف لعقلهِ غوامض تلك العلوم فأوضحها بكتاباته العجيبة التي استحقّت لهُ أن يُدعى شمس المدارس وملاك التعاليم الدينيّة ونَسْر اللاهوت فصار اماماً تستضيء بنبراسهِ المدارس الكاثوليكيّة فاحرزت السَّبق على سواها وسارت في الطريق المستقيمة دون خوف من الضلال . ولذلك لم يزل الاحبار الرومانيّون يحرّضون المؤمنين ولا سيما دعاة الدين وارباب الكنيسة على درس تآليفهِ حتى انّ

احدهم كان يقول : « انَّ القديس توما لم يحتج الى عجائب ليُدرَج في مدارج القديسين لانَّهُ صنع من العجائب على قدر ما شرح من المسائل المعضلة ». وقد اعترف بذلك اعداء الكنيسة مرغومين فانَّهم يعدُّون القديس توما كطريقة تدكُّ كل تعاليمهم الباطلة وتنقضها حتى ان لوتاروس كان يقول : « ألغوا تآليف توما وانا ادمّر الكنيسة »

ومن تآليف القديس التي تسترعي انظار العلماء عموماً والفلاسفة خصوصاً كتابٌ احرز له شهرة عظيمة في زمانهِ وهو معدود حتى اليوم بين التآليف النفيسة المتقنة نريد بهِ كتابهُ المعنون بالخلاصة الفلسفيَّة (Summa Philosophica) او بالخلاصة ضدّ الامم (Summa contra Gentiles)

فهذا الكتاب قد صنَّفهُ القديس توما سنة ١٢٦٢ وذلك بايعاز احد رؤساء رهبانيَّتهِ الدومنيكيَّة المتقدمين فيها بالعلم والفضيلة القديس ريمندس بنافور. فهذا الرجل العظيم الذي تولَّى مدَّة الرئاسة العامَّة في رهبانيَّتهِ خصَّ نفسهُ زمناً طويلاً بالتبشير في الانجيل في وطنهِ اسبانية بين المسلمين واليهود في مملكتي اراغونية وقسطيلة بعد فتحهما على يد جاك الاوَّل (١٢١٣—١٢٧٦) والفونس العاشر المعروف بالحكيم (١٢٥٢—١٢٨٤) فبارك الله مساعيهُ واجتذب الوفاً منهم الى الدين المسيحي فتنصَّروا

لكنَّ القديس وجد بين المسلمين قوماً من العلماء كانت شاعت بينهم آراء فلسفيَّة واهنة اخذوها من بعض اساتذتهم لاسيما ابا الوليد محمَّد الشهير بابن رشد فانَّهُ كان نشر بين اهل ملَّتهِ مذاهب الفلاسفة الاقدمين ساعياً بتطبيقها على الدين الاسلامي فانتشرت بذلك مزاعم باطلة في جوهرهِ تعالى وفي تكوين الخليقة والنفس البشريَّة وبعث الاجداد تصدَّى لتفنيدها بعض المسلمين نفسهم وجرت في ذلك مناظرات بلغ صداها الى عهدنا في كتاب تهافت الفلاسفة لابي حامد الغزالي وفي تهافت التهافت لابن رشد وفي غيرهما . وقد بلغ من امر هذه المجادلات انَّ خلفاء المسلمين في الاندلس صادروا المتفلسفين واتلفوا كتبهم خوفاً من فشوّ تعاليمهم بين الشعب

ولمَّا ظهر القديس ريمندس كانت تلك الحركة قد خمدت نوعاً الَّا انَّ النار كانت لم تزل كامنةً تحت الرماد ولذلك طلب من توما الاكويني ان يضع كتاباً مبنيًّا على

الاصول الفلسفيَّة الارسطاطاليَّة دون التطرُّح في اوهامها. فاجاب القديس الى ملتمسه وكتب هذه الخلاصة الفلسفيَّة المامونة ايضاً كما سبق بالخلاصة ضدّ الامم فضمَّنها لُباب الفلسفة الصحيحة في كل الابحاث التي تهمُّ معرفتها العقل البشري

وقد سبقت الخلاصةُ الفلسفيَّة الخلاصة اللاهوتيَّة وهي بمثابة مقدِّمة واسعة لها قد جرى فيها القديس على طريقة علميَّة قريبة المتناوَل مباينة لطريقته المدرسيَّة الجدليَّة التي نهجها في الخلاصة اللاهوتيَّة فهو يوضح في كل فصل الادلَّة التي تثبتهُ من العقل دون الوحي والتقليد في القالب بحيث يسهل على القارئ ادراك البراهين وقوَّتها دون ان تشغلهُ شواغل الجدال. ولحضرة الخوري يرجس فرج صفير كلام في تعريف الكتاب نرويه له بحروفه :

« لا يخيَّل لك ايها القارئ ان القديس توما ينظر الى اضاليل خصوصيَّة كما يشير اليه عنوان هذه الخلاصة انما ينظر الى جميع الحقائق نظر مُقتاب لا تخفى عليه خافية ويلاحظها لحظاً يحيط بها ويبيِّنها ويُبطل ما يعترضها بأجوبة قاطعة مسكتة وهذا ما يصنعهُ ايضاً في الخلاصة اللاهوتيَّة ولكن على خلاف في المنهج وسببهُ ان مادَّة اللاهوت عقائد مُنزَّلة ولذلك كان اوَّل ما يأتي به في إثباتها شهادة الكتاب او الآباء ولا يأتي بالادلَّة العقليَّة الَّا ادعاماً لما يقرِّرهُ الوحي الالهي واما في الخلاصة الفلسفيَّة فعلى خلاف ذلك فانهُ يُثبت بقوة العقل والبرهان الحقيقة التي يتوخَّاها ثم يأتي بالشهادة متى لزم الامر تعزيزاً لها ولا يحجم اذ ذاك ان يستشهد إمام الفلاسفة ارسطاطاليس ولكن عن رويَّة وفكر ولا يتبعهُ مثل أعمى فما رآه صادقاً فيه عوَّل عليه والَّا أصلحهُ او تركهُ وهذه احسن طريق انتهجها لان العقل قاصر فيعثر اذا سار وحدهُ من غير هادٍ يهديه او كان لا يسير تحت ضياء الايمان الذي يدلُّنا على الطريق ويصوننا من التطرُّح في مهاوي الضلال فالايمان محكٌ يجعلنا نُميِّز بين ما هو كاذب وصادق وقد تدرَّع به القديس توما تدرُّعاً استدَّ به صاعده استداداً لم يحتمل عليه سواه فليس من مجاريه في كشفه عن اسرار الكائنات في اصلها وذاتها وفي ما بينها من النسب

« وقد اوقفنا القديس توما في فاتحة كلامه على الاسباب التي جعلتهُ يتحرَّى هذا المنهج مُبيِّناً لنا انهُ لمن الخاصّ بالرجل الحكيم ان يُفتِّش على الحقيقة التي تُدركهُ في الله وتحدو به الى دار الخلد والسعادة فمن الحقائق ما هو فوق الطبيعة وليس للعقل

ان يتناولها بذاته ومنها ما لا يتجاوز تخوم الطبيعة غير ان العقل في حالته الحاضرة لا يقدر ان يتحققها بدون الشهادة الالهيَّة لان الزمان قصير والعبارة صعبة والاهتمامات متواصلة والتفرُّغ الى طلاب العلم متعذر والعقل قاصر والاضاليل كثيرة وأنَّى السبيل الى الكشف عنها ولو تفرَّغ لها الرجل الحكيم. قال: ان كثيرًا ما يتمرقل العقل في مباحثه بحبائل الضلال لان العقل ضعيفٌ في احكامه فاذا تفاءل وقع في مهاوي الاوهام فيحدث عن ذلك ان كثيرًا من الناس لا يزالون يترددون في حقائق واضحة كلّ الوضوح وكثيرًا ما يختلط الكذب بالصدق اختلاطاً يجد اوهاماً وسفسطات تُنزَّل منزلة الحقيقة ولذلك كان ولا بدَّ لتقرير الحقيقة من عرضها على الانسان بطريق الوحي والايمان (ضد الامم ك ١ ف ٤)

« ولا يخيَّل اليك انهُ يكسر من قوة العقل او يلاشيه لاننا نراه يُصرِّح بان احسن ما يتعاطاه الحكيم توجيه العقل الى الهذيذ في الامور الالهيَّة وهذا ما يتوخَّاه في ما يكتبه فانهُ لا يدع حقيقةً ما لم يُعزِّزها بقوة العقل والبرهان لانهُ يُصرِّح بان العقل والايمان اخوان مصدرهما واحد هو الله ومن المستحيل ان يتنافيا ما لم يتجاوز العقل تخومهُ فيضلّ . وعليه قوله: « اذا كان الاستاذ لا يسعى في ان ينشّ وفرض ذلك في الله ضربٌ من المحال كان العلم الذي يُدخلهُ في عقل تلميذه جزءًا من علمه ولكن المبادئ التي لنا من الطبع قد غرستها فينا يد الله لان الله هو المبدع لطبيعتنا فتلك المبادئ اذن موجودة في الحكمة الالهيَّة وعليه كل ما يجيء منافياً لها يكون منافياً للحكمة الالهيَّة وكان لا يأتي عنها ولذلك كان ولا بدَّ من الاستنتاج ان قضايا الايمان لا تنافي ما لنا من العلوم الطبيعيَّة ولا بوجه من الوجوه (ضد الامم ف٧ ك ١) .

« فمن بعد ان قرَّر ما شأن الرجل الحكيم في الكشف عن الحقائق وما الغرض الذي يتوخَّاه في كلامه وكيف يتَّخذ العقل عماده لان كلامه موجَّه الى اولئك الذين لا يجحدون معنا على كتاب او شهادة وكيف يتعاون العقل والايمان في تحصيل العلوم العالية الالهيَّة من غير تصادُم ولا منافاة وما شأن العقل البشري بالنظر الى الحقائق الالهيَّة كانت او طبيعيَّة اخذ في سرد الحقائق وبيانها شابكاً بعضها ببعض على شكل سلسلة كلُّ حلقة منها إثر أُخرى من اوَّل الكتاب الى آخره وليس هنا

على استيفاء ذلك ولكننا نلمح الى الترتيب المنطقي البديع الذي توخاه بما أمكن من الايجاز

« يثبت في الكتاب الاوّل ان لا سبيل الى معرفة الله الّا بالطريق اللنّي اي بطريق الترقي من المعلول الى العلّة ثمّ ينظر بعينه الراقية الى الله في ذاته ووحدانيّته وطبيعته وصفاته وافعاله . اما في الكتاب الثاني فينظر اليه سبحانهُ من حيث هو خالق بالنظر الى مخلوقاته فتتمثل له خليقتان وهما الروحانية والجسمانيّة فيصف الاولى مبيناً ما لها من المقام العالي في سلّم الكائنات ثم يتكلّم عن النفس البشريّة وعن روحانيتها واتحادها بالبدن وعن اصلها ومدّة بقائها ولم يدع مُتنفّلاً الّا فتحهُ . واما في الكتاب الثالث فينظر في الخليقة لا في ذاتها بل من جهة نسبتها الى الله فيكشف ما بين الخير والشرّ من التباين وعمّا تقوم به سعادة الانسان او لا تقوم به وكيف يمكن الانسان ان يعاين الله . ثم ينتقل الى الكلام في عناية الله في الكائنات لا سيما في الانسان فيبطل ما يهرف به المنجّمون والجبريّة مبيناً ما قدر الشرائع والزواج والنذور والاستحقاق والنعمة والقدر والقضاء

« وبعد ان أنجز هذه الكتب الثلاثة مدعماً ما جاء به بقوة العقل والبرهان حلّق نظرهُ وولج في سرادق الوحي الالهي في حدّ ذاته وتكلم عن اعمق اسرار الدين المسيحي وهما سرّ الثالوث الاقدس وسرّ التجسد الالهي مُثبتاً اياهما ومُبطلاً ما جاء به المناصبون نقضاً لهذين السرّين العظيمين ثم تكلّم عن البعث وعن حالة السعداء وعن المدينونة الاخيرة وعمّا يؤول اليه العالم بعد ذلك القضاء الرهيب

« هذه مادّة هذا التأليف العجيب وهذا رسمهُ البارع تجد فيه جميع المسائل المهمّة متتابعة منسّقة منسكبة في ادقّ واحسن قالب والادلّة التي يتحرّاها يغرفها من اخصّ ينابيع الفلسفة وهو العلم الكليّ والعلم الالهي ولم يجارهِ فيه احدٌ فتجد في كلامه ابطال كل ما يختلقهُ الكفرة من المذاهب الزائفة قدماء كانوا او حديثين . فما لك الّا ان تفتح الخلاصة الفلسفيّة فتجد من الاساحة الوافية ما تبطل به كل ضلال يتصدّى لك في الوصول الى الحقيقة قديماً كان الضلال او حديثاً لان القديس توما لم يكن ليعرف سير الحقيقة فقط بل سير الضلال ايضاً مهما كان الامر من ينبوعه مادياً كان او عقلياً . وهذا القدر كافٍ » انتهى

فما ظهر هذا السفر الجليل حتى اتخذهُ النصارى كدستور رجعوا اليهِ في اثبات الحقائق الفلسفيَّة التي تعلمها الكنيسة الكاثوليكيَّة وفي بيان الاتفاق الكامل الموجود بين العقل والدين المستقيم. وقد قال احد كبار المتقدمين انَّ القديس توما بهذا التأليف قد فاق على نفسهِ وانهُ بطريقةٍ سوف تصبر على كلّ كوارث الدهر. وقال احد الاحبار الرومانيين انَّ الخلاصة الفلسفيَّة والخلاصة اللاهوتيَّة للقديس توما الاكويني كتابان متعاضدان متكاتفان يلزم الواحد الآخر وبهما تتوثق عروة المعارف العقليَّة والدينيَّة معاً

ولذلك قد تهافت عليهِ اهل زمانهِ ولم يزل إقبال الفلاسفة عليهِ منذ ذاك الحين حتى يومنا وقد طُبع طبعات لا تُحصى ونُقل الى كافَّة اللغات الاوربيَّة حتى اليونانيَّة ونقلهُ بعض المتنصرين من اليهود الى العبرانيَّة وكأنهم لسان واحد في اطرائهِ وتعظيم فوائدهِ

ومع شيوع هذا الكتاب في انحاء البلاد كان لا يزال مجهولاً في ظهرانينا حتى شمَّر عن ساعد الجدّ حضرة الخوري جرجس فرج صفير الموما اليهِ احد المولعين بالدروس الفلسفيَّة بيننا كما تشهد لهُ تآليفهُ العديدة فتحرَّى تعريبهُ مهما كلَّفهُ الامر من الشغل والعناء. فواصل العمل سنين متوالية حتى انجزهُ وهو الآن يقصد نشرهُ بالطبع مشفوعاً بالملحوظات والتذييلات التي تزيدهُ فائدةً

وبديهي كما لا يخفى ان كتاباً كهذا يحتاج طبعهُ الى مبالغ وافرة فلا بُدَّ لذوي الاريحيَّة المرتاحين لنشر العلوم العالية والتعاليم الراهنة ان يمدُّوا الى صاحبهِ الفاضل يد المساعدة لئلَّا يبقى الكتاب مطوراً في زاوية النسيان وعلى الاقلّ ان يبادروا بالاكتتاب في بعض نسخهِ لينشط الى مباشرة العمل. وهذا التأليف لا يزيد مع كثرة فوائدهِ على الف صفحة فيمكن ان يُطبع في جلد واحد او جلدين ليقتبس من انوارهِ الاساتذة وطلبة الفلسفة معاً

ويحسن بنا ان نختم كلامنا في هذا التأليف بقول الخالد الذكر الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في «منشوره الرسيم في تعليم الفلسفة القويم» فانهُ يصدق في كتاب الخلاصة الفلسفيَّة بوجهٍ احرى من بقيَّة تآليف الاكويني الفلسفيَّة :

« قد دق جهبذ العلماء المدرسيين امامهم واستاذهم توما الاكويني الذي على ما قال العلامة انكرديال فايطان قد اجنّ أعظم اجلال العلماء القديسين الاقدمين فورث على نوع ما علوم جميعهم فجمع توما شتات تعاليمهم كما تُجمّع الاعضاء المتفرّقة الى جسد واحد وضمّها ورتبها بنظام عجيب واغنى خزانتها حتى تفرّد بلقب حارس الكنيسة وفخرها الخاصّ فهو حاذق العقل ذكيّ الفؤاد قويّ الذاكرة طاهر السيرة خليل الخلق لا خليل لهُ سواهُ غنيّ بالعلوم الالهيّة والبشريّة. وقلّ ما أدري من شبّههُ بالشمس لانهُ سخّن الارض باشعّة شمس فضائلهِ وملأها بساطع نور علمهِ. فما من فرع من فروع الفلسفة الّا تداولهُ بحذق وسداد فبسط الكلام بالتوالي على المنطق واقيسة البرهان وفي الباري تعالى والجواهر المجرّدة والانسان وسائر المخلوقات المحسوسة والاعمال البشريّة واصولها ومبادئها ولم يعوزهُ شيء في كل هذه الابواب لا البحث والتنقير ولا ترتيب الاقسام واتقانها المحكم ولا اتقان الاساليب ولا متانة المبادئ ولا سداد البراهين ولا صراحة الانشاء او ضبط العبارة ولا التدقيق وسهولة المأخذ في حلّ اعقد المسائل وعرضها . . . »

فتاهيك بهذا الوصف الصادق بيانًا لعظم شأن تآليف الاكويني الفلسفيّة وبالاخص تأليفهُ الذي نبشّر قرّاءنا بتعريبهِ عاقدين الرجاء بقرب نشرهِ ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE LA RENAISSANCE FRANÇAISE (*Paris, 3, rue de Solférino*) : I. Benjamin Fabre : Un Initié des Sociétés Secrètes Supérieures « Franciscus A Capite Galeato », pp. XXII-454 (*Prix*, 7 *fr.* 50) = II. Coppin-Albancelli : La Question des Boy - Scouts ou Eclaireurs de France, pp. 51 = III. A. Louvel : Appel aux Hommes, pp. 153+240 = IV. H. Giraldon : La Vie est précieuse, pp. 121

مطبوعات جمعيّة النهضة الفرنسويّة في باريس

هذه اربعة تآليف اهدانا اياها السيو دي كاتلينو (M^r Émm. de Cathelineau) احد اعضاء جمعيّة النهضة الفرنسويّة وكلها بديعة في جنسها :

اوّلها كتاب نفيس نوصي بهِ كل من يريد الاطلاع على حقيقة الشيعة الماسونيّة واسرارها الخفيّة. فانّ فيهِ كتابات سرّيّة لاحد اركان الماسونيّة في القسم الثاني من القرن الثامن عشر وفي العشر الاوّل من التاسع عشر وهو المدعوّ باسم مستعار « فرنسيس الفارس المغفّر الرأس » كان يمضي بهِ رسائلهُ السرّيّة الى رؤساء الشيعة.

« قد دق جهبذ العلماء المدرسيين امامهم واستاذهم توما الاكويني الذي على ما قال العلامة انكرديال فايطان قد اجنّ أعظم اجلال العلماء القديسين الاقدمين فورث على نوع ما علوم جميعهم فجمع توما شتات تعاليمهم كما تُجمّع الاعضاء المتفرّقة الى جسد واحد وضمّها ورتبها بنظام عجيب واغنى خزانتها حتى تفرّد بلقب حارس الكنيسة وفخرها الخاصّ فهو حاذق العقل ذكيّ الفؤاد قويّ الذاكرة طاهر السيرة خليل الخلق لا خليل لهُ سواهُ غنيّ بالعلوم الالهيّة والبشريّة. وقلّ ما أدري من شبّههُ بالشمس لانهُ سخّن الارض باشعّة شمس فضائلهِ وملأها بساطع نور علمهِ. فما من فرع من فروع الفلسفة الّا تداولهُ بحذق وسداد فبسط الكلام بالتوالي على المنطق واقيسة البرهان وفي الباري تعالى والجواهر المجرّدة والانسان وسائر المخلوقات المحسوسة والاعمال البشريّة واصولها ومبادئها ولم يعوزهُ شيء في كل هذه الابواب لا البحث والتنقير ولا ترتيب الاقسام واتقانها المحكم ولا اتقان الاساليب ولا متانة المبادئ ولا سداد البراهين ولا صراحة الانشاء او ضبط العبارة ولا التدقيق وسهولة المأخذ في حلّ اعقد المسائل وعرضها . . . »

فتاهيك بهذا الوصف الصادق بيانًا لعظم شأن تآليف الاكويني الفلسفيّة وبالاخص تأليفهُ الذي نبشّر قرّاءنا بتعريبهِ عاقدين الرجاء بقرب نشرهِ ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE LA RENAISSANCE FRANÇAISE (*Paris, 3, rue de Solférino*) : I. Benjamin Fabre : Un Initié des Sociétés Secrètes Supérieures « Franciscus A Capite Galeato », pp. XXII-454 (*Prix*, 7 *fr.* 50) = II. Coppin-Albancelli : La Question des Boy - Scouts ou Eclaireurs de France, pp. 51 = III. A. Louvel : Appel aux Hommes, pp. 153+240 = IV. H. Giraldon : La Vie est précieuse, pp. 121

مطبوعات جمعيّة النهضة الفرنسويّة في باريس

هذه اربعة تآليف اهدانا اياها السيو دي كاتلينو (M^r Émm. de Cathelineau) احد اعضاء جمعيّة النهضة الفرنسويّة وكلها بديعة في جنسها :

اوّلها كتاب نفيس نوصي بهِ كل من يريد الاطلاع على حقيقة الشيعة الماسونيّة واسرارها الخفيّة. فانّ فيهِ كتابات سرّيّة لاحد اركان الماسونيّة في القسم الثاني من القرن الثامن عشر وفي العشر الاوّل من التاسع عشر وهو المدعوّ باسم مستعار « فرنسيس الفارس المغفّر الرأس » كان يمضي بهِ رسائلهُ السرّيّة الى رؤساء الشيعة.

وكان المذكور من احدى أسر فرنسة الشريفة الا انهُ وقع في حبائل الماسونية في شبابه وترقّى في درجاتها حتى بلغ أعمق اسرارها التي لا يعرفها سوى اعشار الماسون فضحّى النفس والنفيس في نصرة مبادئها الوخيمة. وكتاباتهُ هذه تبلغ الالوف وكلها تشهد على انَّ الماسونيَّة لا تسعى الّا في خراب كل دين وكل سلطان. وهي كانت مصونة في خزانة احفاده الذين سلّموها للكاتب الشهير بنيامين فابر فنشر منها اهمّ ما وجده ورسم كثيرًا منها بالفوتغراف بيانًا لصحّة اقاويله وعلّق عليها التعليقات السديدة الكاشفة عن كل دسائس الماسونيَّة مدّة الثورة الفرنسويَّة وفي عهد نابوليون الكبير. فنشد الله كل المخدوعين بهذه الشيعة في بلادنا الشرقيَّة ان يدرسوا هذا الكتاب درسًا مدقّقًا باستقامة ودون غرض فلا شكّ انهم يستنتجون من هذا الدرس ما استنتجهُ المسيو فابر وهو انَّ الماسونيَّة جمعيَّة كل نظامها الاجتماعي مبني على الكذب والخبث والخداع. وهذا كلامهُ بالحرف (ص ٣٢):

Une longue et sérieuse et impartiale étude, faite sur plusieurs milliers de documents originaux, nous a convaincu que toute l'organisation maçonnique est fondée sur la fraude, la tromperie, la fourberie, en un mot sur le mensonge élevé à la hauteur d'une institution.

والكتاب الثاني لاحد مشاهير الماسونية في عهدنا المسيو كوبان البنّيلي الذي وضع في ذلك عدّة تآليف لم يجسر الماسون ان يردّوا عليها. وهذا الكتاب آخر ما صنّفهُ في العام الاخير ليبيّن انَّ شركة الفتية المعروفين باسم « بوي سكوت » (Boy-Scouts) المنشأة في انكلترة حديثًا لا تصلح للشبيبة الفرنسويَّة بل غايتها بذر منافاة الدين في عقول الاحداث. امّا التمرينات البدنيَّة التي يمارسها اولئك الفتية فهي حسنة في ذاتها لكن الكاثوليك في غنىً عنها ولهم الجمعيّات المتعدّدة التي تقوم بذلك احسن قيام مع مراعاة آداب الناشئة وايمانهم

والكتاب الثالث لاحد افاضل كهنة فرنسة الغيورين على صالح وطنهم يُدعى الاب لوثل فانهُ اذ عرف باختباره اليوميّ ما صارت اليهِ البلاد من الانحطاط بسبب تقهقر الدين ونبذ الآداب وضع هذا الكتاب ووجّههُ الى رجال قومهِ مثبتًا لهم بالبيّنات الساطعة والشواهد اللامعة انَّ خلاص فرنسة متوقّف على رجوعها الى

دينها القويم. وقد تصفحناه فوجدناه من امتع الكتب واصدقها لهجة واثبتها حجة ولا يبعد عن هذا الموضوع الكتاب الرابع للسير جيرلدون المعنون « بعظم قدر الحياة » لكنه اقرب الى فهم العموم واوضح اسلوباً وقد بيّن فيه ان السعادة التي يدعو اليها اصحاب المذاهب الجديدة من فوضويين واشتراكيين وغيرهم اسم بلا جسم. وهم يها على البسطاء. وان سعادة الحياة في الدين وحده الذي يرشد الانسان الى الصلاح ويستأصل من قلبه الاهواء الباطلة ويسنده في جهاد الحياة بذكر الثواب المعد له في الآخرة جزاء عن صبره وحمل صليبه مع ابن الله ل. ش

LIBRAIRIE BLOUD ET GAY (Paris, 7, Place St Sulpice) : I. Alfred Baudrillard avec la collaboration de J. Martin : Histoire Générale, pp. 727 (*Prix*, 5 *fr.*) = II. Paul Feyel : Histoire Contemporaine (1815-1913), pp. VIII-887 = III. J. Prevost et A. Laurent : Premier Livre de Lecture, pp. 128

التاريخ العام – التاريخ العصري – اول كتاب القراءة

هذه كتب مدرسية اصدرها آخراً محل بارد وغاي: فالاول منها تاريخ عام يتناول اهم الحوادث التي جرت في العالم منذ الدول القديمة الى عهدنا وضعه كاتب من مشاهير كتبة عصرنا السيد بودرليار رئيس الكلية الكاثوليكية في باريس بمساعدة احد اساتذة التاريخ المسيو مرتين. وقد اعجبتنا طريقة المؤلف في وضع هذا التأليف المدرسي على طريقة مستحدثة يلذ الاحداث نهجها وذلك بحسن تقسيم المواد واختلاف انواع الحروف وتوفير الصور والرسوم والخارطات البالغة عدة مئات. وافضل من كل ذلك ان المواد كلها منتخبة بانتقاد وتحقيق ليس فيها ما تعثر به رجل الاحداث من الاحكام الواهنة والتحامل على الدين. فنحرّض ارباب المدارس على وضعه في ايدي طلبتهم. ويا ليتهُ يُنقل الى لغتنا العربية على صورته. — والكتاب الثاني في التاريخ العصري يشبه السابق في طريقته الطبيعية الرائقة وتقاسيمه وتصاويره المنيفة على ٤٣٠ صورة بعضها ملوّنة وانما هو موضوع خصوصاً لتلامذة المدارس العليا ومداره على حوادث العصر المتصرم مباشرة بمؤتمر ڤينا سنة ١٨١٥ الى السنة الماضية ١٩١٣ صنّفه احد الاختصاصيين المسيو بول فايل وفقاً للائحة التعليم الرسمية في فرنسة. وهو يصلح لمدارس بلادنا ايضاً لأنه يتناول كل

الحوادث السياسية التي جرت في هذين الماضي في بلاد العرب والشرق معاً وهناك فصول خاصة لامور الدين ولتاريخ الفنون والآداب والاختراعات الحديثة وكل ما ينبغي على الدارسين ان يعرفوه في نهاية دروسهم. ويزيده نفعاً حياد كاتبه عن كل ما يجعله حجر عثرة في سبيل الطلبة. فتتمنى له الرواج الواسع — اما الكتاب الثالث فكتاب قراءة على الطرائق المستحدثة لصغار الاولاد وهو يجمع بين دروس الاشياء وتهذيب عقول الاحداث وطبع الآداب السليمة في قلوبهم ل. ش

ADAMITICS: An Essay on first Man's Language, by Anthony de Velics M. D., *Budapest* 1914, pp. 129

لسان الاجداد الاولين

هذا بحث كثيراً ما استوقف انظار العلماء في كل جيل وعاد اليه بعض علماء عصرنا لانهم يجدون لعقدته حلاً. وقد سبق المشرق ونشر سنة ١٩٠٥ (٨ : ٢٠٩) مقالة للمستشرق غريفيني في هذا الموضوع اختصر فيها كتابات الدكتور ترمباتي وبيّن ما اصاب من ذلك. وها هوذا كتاب جديد في هذا البحث للغوي آخر اسمه دي ڤالكس جمع فيه معلومات متفرّقة من معظم الالسنة المعروفة في زماننا استنتج منها نتائج البعض منها محتملة والبعض صحيحة صادقة كقوله مثلاً انّ درس هذه اللغات يبيّن صريحاً انّ النطق خاصّ بالانسان وحده دون البهيمة العجماء. وكقوله انّ معظم اصوات المفردات الاصلية قد وُضع مثلاً لحركات الطبيعة ومبادئ أخرى تؤيد ما اعلمنا به الكتاب المقدّس من وحدة النطق البشري في اوّل العالم. هذا ما نقوله اجمالاً دون القطع بصحة كثير من مزاعم المؤلف ل. ش

Prof. Filippo Talvacchia: L'ARABO LETTERARIO. Vol. I. Morfologia. *Gerusalemme, Tipogr. di Terra Santa,* 1914, pp. 164

قواعد العربية. القسم الاوّل: الصرف

هذا تأليف جديد في قوانين اللغة العربية وضعه لافادة الايطاليين حضرة الاب فيليب تلفاكيا نائب رئيس المدرسة الاكليريكيّة اللاتينيّة في القدس الشريف فانجز القسم الاوّل منه المحتوي لاصول الصرف في ثلثة فصول وعدّة ابواب متتبعاً تصريف الاسم ثمّ الفعل وخاتماً بالحروف ثمّ العدد. وقد احسن على ما لحظنا بجريه على آثار

العرب في تدوين جداول التصريف وضبط قواعده. ولكلّ باب ألحق ضمّنهُ المؤلف ملحوظات دقيقة مفيدة ثمّ اردفهُ بتمرينات عملية كما فعل الاب بيلو في كتابهِ الفرنسويّ عن اصول اللغة العربية. ومن فوائده جدول الالفاظ الايطالية التي مرّت في كتابهِ عربيّتها جعلهُ في آخره كشبه معجم صغير يغني مدّةً عن المعاجم الكبيرة فلا شكّ انّ الايطاليين يقبلون على هذا الكتاب لاجتناء اثماره الطيّبة

ل ش

I. Uffizio della B. V. Maria. p. 151 = II. Uffizio Commune dei Morti, p. 105 = III. I Tredeci Venerdi e la Novena in onore di S. Francesco di Paolo, p.116. *Napoli, Tip. Pontificia, M. d'Auria*, 1913.

فرض العذراء – فرض الموتى – رياضات لاكرام القديس فرنسيس البوليّ

اهدتنا مطبعة دوريا في نابولي هذه الكتب الثلثة الثمينة وهي تتضمّن فرض العذراء مريم وفرض الموتى على موجب الترتيب الذي سنّهُ آخرًا قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر. ثمّ رياضات لاكرام القديس فرنسيس البوليّ. وكلّها في نهاية الاتقان ما يدلّ على براعة اصحاب هذا المحل الشهير

تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (طبعة ثانية)

الجزء الاول في قسم لبنان الشمالي. طُبع في المطبعة الكاثوليكية (١٩١٤ ص ١٥٩)

هذا الكتاب الفريد مجموع مقالات ظهرت في المشرق في السنين الستّ الاولى منهُ. نشرناهُ سابقاً على حدة فنفدت نسخهُ وسألنا كثيرون اعادة طبعهِ. وكان يودّ المؤلف ان يُعيد النظر فيهِ لكنّ اشغالهُ في مدينة رومية حالت دون رغبتهِ فكرّرنا طبع الكتاب دون تغييرهِ الّا في اشياء طفيفة ل. ش

انفاس الطلّاب في مضمار الكتّاب

انتخبها المسيو ب. حبيقة من كتابات مدرسة القديس بطرس (بسكنتا)

الجزء الثالث. طُبع في المطبعة اللبنانيّة بحمر نحر ببيروت لبنان (١٩١٣ ص ٢٨)

هي طاقة ثالثة من حديقة مدرسة القديس بطرس في بسكنتا جمعها رئيسها وبستانيّها الجليل المتوآي جراثتها وغرسها ومراقبة نموّها وجنى زهورها وقطف اثمارها. ولا غرو انهُ احسن في تركيب تلك الطاقة وهو ادرى بما في جنّتهِ من ضروب النبات

واشكال الازهار ويانع الاثمار . فنرجي احداث المدارس ان يتقفّوا آثار رصفائهم اللبنانيين ويتحفونا مثلهم من وقت الى آخر بمجاني حدائقهم

التقرير الاوّل عن اعمال جمعيّة « الاتّحاد اللبناني » في مصر

طُبع في مطبعة المعارف باوّل شارع الفجّالة بمصر

مرّ اربع سنوات على جمعيّة الاتحاد اللبناني المنشأة في مصر في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٠٩ بهمّة وطنيّنا النشيط وتاميذ كليّتنا النبيل انطون افندي الجميّل . ومذ ذاك الحين لم تزل هذه الجمعيّة توسّع نطاقها وتعقد جلساتها المنظّمة وتسعى على قدر طاقتها في تلافي احوال لبنان وتضميد جراحاته وجمع كلمة اهله . وهذا التقرير يوقفنا على مساعي تلك الجمعيّة وتعريف تركيب لجناتها وبيان غاياتها الحميدة التي ترمي اليها وبيان الوسائل التي تتذرّع بها لتحقيق امانيها . فقد قرأناهُ بكل رغبة وطلبنا الى الله بان يكلّل بالنجاح اعمال الجمعيّة المذكورة ليعود لبنان الى بهائه القديم وينال مطاليبهُ من الحقوق التي عليها قوام حياته ومستقبله ل . ش

البيان الصراح عن نَذْر يفتاح

بقلم امين افندي ظاهر خير الله

طُبع بالمطبعة البطريركيّة الارثوذكسيّة في دمشق (سنة ١٩١٣ ص ١٠٤)

نذْر يفتاح بإصعاد اوّل الوافدين عليه من اهل بيته محرقةً للرب (سفر القضاة ١١ : ٣٠ — ٤٠) هو احد المشاكل التي شغلت المفسّرين للكتاب الكريم فمنهم من رأى انّهُ اتمّ نذرهُ بتضحية ابنته ومنهم من غلّب كونهُ كرّس فقط بتوليتها لخدمة الرب . وهو القول الرجح الذي اتّبعهُ صاحب هذا الكتاب الشائق صديقنا امين افندي ظاهر خير الله مدير مجلّة النعمة فأيّدهُ بأدلّة مقنعة انتزعها من نصوص الكتاب المقدّس عينهِ . ثمّ استورى زناد قريحته وكسا كل قصّة يفتاح وابنته ثوباً قشيباً من نظمهِ فاخرجها على صورة بديعة في ستّة فصول ونحو خمسمائة بيت شعر فتفنّن فيها اي تفنّن وجعلها كشبه الروايات الجاريّة وضمّنها من المواعظ ما يأتسي بهِ الصغار والكبار وذيّلها بالحواشي اللغوية والتاريخية تروق مطالعتها كل ارباب الادب فجازاهُ الله خيراً ونفع بتآليفهِ الوطن زمناً طويلاً ل . ش

تنصُّر كلوفيس — في ظلمات القصر الشمالي

تعريب حضرة المحوريين تقولا ابي هنا ب.م وانطون فرج

روايتان جميلتان تولّى تعريبهما كاتبان فاضلان من الروم الكاثوليك خدمةً للمدارس والمراسح المنزّهة عن كل شبهة في الآداب. والاولى تاريخية تحيي ذكر حادث جليل كان وكن مفاخر الدولة الفرنسويّة في اواخر القرن الخامس الا وهو تنصّر الملك كلوفيس منشئ الملكية الفرنسويّة. امّا الثانية فادبيّة اخلاقيّة تمثل على طريقة مؤثرة جدًّا سيّدًا اغتالهُ وكيل املاكهِ فقاسى مدّة عشرين سنةً الوان العذاب الى أن أفرج الله كربتهُ واعادهُ الى سابق عزّه بخذل عدوّه. وكلتا الروايتين مسبوكة في قالب متين من النظم والنثر فتفتنان في تمثيلهما لذة البصر ولذّة السمع. فضلًا عمّا فيهما من العواطف الشريفة والتعاليم الادبيّة الصالحة فنشكر حضرة المعرّبين ونحرّض محبي الروايات التمثيليّة على تشخيص هاتين الروايتين بعد الاسترخاص من واضعيهما

ل. ش

شذرات

تذكار المسيحيين للملك قسطنطين — ارسل لنا من اوستراليا سيادة المنسيور يوسف العلم هذه القصيدة الجميلة تذكارًا لليوبيل القسطنطيني في السنة المنصرمة فنثبتها اقترانًا شاكرين لفضل ناظمها:

سَعديكَ سَعديكَ « قسطنطينُ » يا بَطَلُ ... أبقيتَ ذكرًا لهُ الاجيالُ تحتفلُ
سَعديكَ في الدين اذ حاميتَ جانبهُ ... سَعديكَ في الملك اذ عدلتَ فاعتدلوا
حيّاكَ مولاكَ في عليائهِ مرتفعاً ... على الملوك الأُلى في الحكم ما عدلوا
حيّاكَ بطرسُ من مجلى رئاستهِ ... تحيّةً ردّدتها بعدهُ الرُّسُلُ
حيّاكَ بولسُ مَنْ فُكّت سلاسلهُ ... من قيد « قيصرَ » فانقادت بها المِلَلُ
واليوم « بيُوسُ » والعصورُ عيدُهمُ ... ترفيعُ عزّكَ مهما اعتزّت الدولُ
« ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا » ... والجامعُ الدين والدنيا هو البَطَلُ
يا منصفَ الدين والدنيا بحكمتهِ ... ذا حكمُ ربّكَ لمّا حكمتهُ سألوا

اكثر من ثلثة ملايين ويليها الولايات المتحدة ١,٨٨٣,٠٠٠ فرنك ثمَّ المانية ٥٥٠,٠٠٠ ف يضاف اليها ٤٠٠,٠٠٠ من مقاطعتي الزاس ولوران ثمَّ الجمهوريَّة الفضية ٣٠٠,٠٠٠ ثمَّ ايطالية ٢٧٠,٠٠٠ ثمَّ لولندة ٢٦٠,٠٠٠ ثمَّ اسبانية ٢٠٠,٠٠٠ الخ

اسئلة واجوبة

س سأل من عين تراز حضرة الخوري يوسف هنا لاي سبب لم تُترجَ في ترجمة العربية لسفر أيوب (٤٢ : ٧) هذه الالفاظ الموجودة في الترجمة السبعينية ὡς τὸ Κυρίῳ ἔδοξεν, Sicut Domino placuit, ita factum est ومثلها اللاتينية ὥσπερ ἐγένετο التي تعريبها : « كما حسن لدى الربّ كذلك جرى »

آية من سفر ايوب

ج الجواب على ذلك انَّ الالفاظ المذكورة ليست في الاصل العبراني الذي عليه كان المعوَّل في ترجمتنا ولذلك لم يرَ المعرّب الّا قولهُ : « الرب اعطى والربُّ اخذ. فليكن اسم الربّ مباركاً » وفي هذه الالفاظ ذات المعنى ضمنًا

س وسأل من دمشق حضرة الخوري جرجس ابي سمراء : ١ ماذا نعرف من تاريخ الطران يوحنا العظم وعلى بينهُ وبين بيت العظم المسلمين علاقة. ٢ ما هو سبب تلوُّن بعض النجوم وتشعشعها. ٣ ما معنى دخول الشمس الابراج المعروفة مع كوننا نعرف ان الشمس ثابتة ليس لها سوى دورة رحويَّة على ذاتها

الطران يوحنا العظم – تلوُّن وتشعشع النجوم – دخول الشمس الابراج

ج نجيب على (الاوَّل) انَّنا لا نعرف من امر الطران يوحنا العظم سوى ما ذكرهُ صاحب القاطعة الكسروانيَّة (ص ٢٦٥) اعني انَّهُ توفي في ١٠ ت٢ سنة ١٨٣٣ ودُفن في زوق مكايل. ولا نظنّ ان بينهُ وبين آل عظم المسلمين علاقة. وعلى (الثاني) انَّ تلوُّن بعض النجوم مسبَّب من تركيب عناصرها المختلفة وتباين الانوار الصادرة من لهيبها. امَّا تشعشعها فلاجل اجتياز نورها في طبقات الجوّ المختلفة الكثافة والرطبة فتؤثر حركتهُ في حدقة عيوننا. ونجيب على (الثالث) انَّ دخول الشمس في الابراج انَّما هو محسول على الظاهر دون الحقيقة لأنَّ الشمس تُرَى للعين كأنَّها تمرُّ في كل واحد من هذه البروج الاثني عشر المعروفة بمنطقة البروج. وانَّما الحركة هي للارض ليست للشمس

اكثر من ثلثة ملايين ويليها الولايات المتحدة ١,٨٨٣,٠٠٠ فرنك ثمَّ المانية ٥٥٠,٠٠٠ ف يضاف اليها ٤٠٠,٠٠٠ من مقاطعتي الزاس ولوران ثمَّ الجمهوريَّة الفضية ٣٠٠,٠٠٠ ثمَّ ايطالية ٢٧٠,٠٠٠ ثمَّ لولندة ٢٦٠,٠٠٠ ثمَّ اسبانية ٢٠٠,٠٠٠ الخ

اسئلة واجوبة

س سأل من عين تراز حضرة الخوري يوسف هنا لاي سبب لم تُترجَ في ترجمة العربية لسفر أيوب (٤٢ : ٧) هذه الالفاظ الموجودة في الترجمة السبعينية ὡς τὸ Κυρίῳ ἔδοξεν, Sicut Domino placuit, ita factum est ومثلها اللاتينية ὥσπερ ἐγένετο التي تعريبها : « كما حسن لدى الربّ كذلك جرى »

آية من سفر ايوب

ج الجواب على ذلك انَّ الالفاظ المذكورة ليست في الاصل العبراني الذي عليه كان المعوَّل في ترجمتنا ولذلك لم يرَ المعرّب الّا قولهُ : « الرب اعطى والربُّ اخذ. فليكن اسم الربّ مباركاً » وفي هذه الالفاظ ذات المعنى ضمنًا

س وسأل من دمشق حضرة الخوري جرجس ابي سمراء : ١ ماذا نعرف من تاريخ الطران يوحنا العظم وعلى بينهُ وبين بيت العظم المسلمين علاقة. ٢ ما هو سبب تلوُّن بعض النجوم وتشعشعها. ٣ ما معنى دخول الشمس الابراج المعروفة مع كوننا نعرف ان الشمس ثابتة ليس لها سوى دورة رحويَّة على ذاتها

الطران يوحنا العظم – تلوُّن وتشعشع النجوم – دخول الشمس الابراج

ج نجيب على (الاوَّل) انَّنا لا نعرف من امر الطران يوحنا العظم سوى ما ذكرهُ صاحب القاطعة الكسروانيَّة (ص ٢٦٥) اعني انَّهُ توفي في ١٠ ت٢ سنة ١٨٣٣ ودُفن في زوق مكايل. ولا نظنّ ان بينهُ وبين آل عظم المسلمين علاقة. وعلى (الثاني) انَّ تلوُّن بعض النجوم مسبَّب من تركيب عناصرها المختلفة وتباين الانوار الصادرة من لهيبها. امَّا تشعشعها فلاجل اجتياز نورها في طبقات الجوّ المختلفة الكثافة والرطبة فتؤثر حركتهُ في حدقة عيوننا. ونجيب على (الثالث) انَّ دخول الشمس في الابراج انَّما هو محسول على الظاهر دون الحقيقة لأنَّ الشمس تُرَى للعين كأنَّها تمرُّ في كل واحد من هذه البروج الاثني عشر المعروفة بمنطقة البروج. وانَّما الحركة هي للارض ليست للشمس